

الأربعاء

سبتمبر 2026

ربيع الأول 1448

نسخة 1742

العدد 141

إصدار إلكتروني يصدر عن مؤسسة «الدستور» للطباعة والنشر

9

27

4

المحرر العام: محمد الباز

ملحق خاص

دور



الخيال الصيني

中国想像力

.. ونشر

نصوصاً من

«أدب التنين»



8 مترجمين

يتحدثون عن تجاربهم

مع الثقافة الصينية



حضارة الصين مُتجلية

حتى فى آداب شرب الشاي!

ما رؤيتك لمستقبل حركة الترجمة من العربية إلى الصينية خلال السنوات القليلة المقبلة؟

– التجارة بين العرب والصين سبقت المعرفة بعقود، والصين حين قررت أن تعرف العالم بنفسها مولّت صورتها ببرامج ترجمة منتظمة، بينما لم يحدد العرب بعد بالقدر الكافى ما يريدون أن يعرفه الصينى عنهم.

نحتاج إلى مشروع عربى ممول للترجمة إلى الصينية تقوده مصر مع دول الخليج والمؤسسات القادرة على الاستمرار، ويبدأ هذا المشروع بالرواية العربية المعاصرة، ثم الفكر العربى الحديث، ثم الدراسات الإسلامية الىى تحتاج إليها الجامعات الصينية.

كما نحتاج إلى مراكز معرفة عربية مستقلة تقرأ الصين من مصادرها، ومترجمين متخصصين فى الاقتصاد والقانون والتقنية، وبرامج إقامة طويلة تنتج جيلاً يعرف الصين لا جيلاً يتحدث الصينية فقط.

أسمى هذا، التنمية الثقافية، فالفهم المتبادل ليس فضيلة أخلاقية فقط، بل جزء من التفاوض والتنمية. والثقافة، كما قلت فى بداية الحوار، تأتى قبل السياسة، وهى التى تبقى حين تتغير السياسة.



بالترجمة الحرفية، وإنما بإعادة نسج الجملة الصينية فى جملة عربية تتنفس وتحافظ على حركة الحوار ونبرته.

أما فى الاتجاه المعاكس، فيواجه المترجم الصينى مشكلات تتعلق بالعامية المصرية والمرجعيات الدينية والثقافية.

لكن العقبة الأكبر تسبق الترجمة، وهى اختيار الكتاب وتحويل ثقته، فإذا ظل هذا القرار انتقائياً ستظل صورة الأدب العربى فى الصين انتقائية مهما كانت جودة الترجمة.

■ **أشرت فى أحاديث صحفية سابقة إلى أن أعمال نجيب محفوظ منتشرة على نطاق واسع فى الصين، وتجرى حولها دراسات للحصول على درجتى الماجستير والدكتوراه، من هم أبرز الأدباء المصريين الآخرين الذين تحظى أعمالهم بحضور لافت فى الصين؟**

– طه حسين وصل إلى القارئ الصينى أكثر مما وصل كثير ممن ترجموا بعده، لأن «الأيام» تروى قصة يفهمها القارئ الصينى جيداً؛ طفل كفيف يخرج من قرية فقيرة ويصعد بالتعليم إلى الأزهر ثم الجامعة، والأسرة الصينية تدرك معنى أن يكون التعليم طريقاً لتغيير المصير.

أما نجيب محفوظ فقد فتحت له «نوبل» باب الجامعات منذ الثمانينيات، وترجمت «الثلاثية»، وأولاد حارتنا، ورقاق المدق، لكنه، فى تقديرى، أقوى حضوراً داخل الجامعة منه فى سوق القراءة العامة.

ويحضر أكاديمياً توفيق الحكيم ويوسف إدريس وجمال الغيطانى، كما وصلت «عمارة يعقوبيان»، لعلاء الأسوانى إلى قراء خارج الدوائر الأكاديمية، وإن ظل حضورها محدوداً.

المشكلة أن الرواية المصرية الجديدة لا يصل منها إلا القليل، ولذلك نحتاج إلى تقديم مصر التى تتغير الآن، وليس مصر الأهرامات والأزهر، محفوظ، فقط.

■ **هل أثرت تقنيات الذكاء الاصطناعى فى صناعة الترجمة من الصينية إلى العربية، خاصة فى ظل انخفاض تكلفتها مقارنة بالاستعانة بالمترجم البشرى؟ وهل يمكن أن تحل هذه التقنيات محل المترجم المتخصص، أم أنها ستظل أداة مساعده له؟**

– أشرت بالفعل، ويبدأ تضيق أمام كثير من الخريجين فرص فى الترجمة التجارية التى كانت متاحة قبل سنوات قليلة. أما فى الكتاب، فقد جريتها على نصوص أعمل عليها، وما يخرج منها هو ما أسميه «الترجمة الميتة»، جمل صحيحة نحوياً، لكنها متساوية الطول، وتترك الحوار بلا حركة أو نبرة.

لا أرى المسألة سياقاً بين الإنسان والآلة. المترجم الذى لا يقدم أكثر من مقابل لغوى مباشر ستراجع فرصه، أما معرفة السياق وفهم ما يتركه الكاتب مضمراً فما زالا يحافظان على قيمة المترجم المتخصص.

لا أمانع فى الاستعانة بالأداة فى البحث أو المسودة الأولى، ما دام المترجم هو من يعيد كتابة كل جملة. ما أخشاه هو قبول ترجمة آليه خام لأنها أرخص، فيفترأ الناس كتاباً بلا روح وينسبون العيب إلى الكاتب الصينى.

فى الصين، ومسارات تتيح لدارس اللغة أن يتخصص فى الاقتصاد أو القانون أو الأدب، ومراكز مصرية تقرأ الصين من مصادرها الأصلية.

لدينا فى مصر اليوم ٣٦ قسماً للغة الصينية، لكن هذا العدد لا يظهر بالقدر نفسه من الباحثين والمترجمين الأديبين، لأن كثيراً من البرامج يعلم اللغة أكثر مما يعلم الصين.

خريج الصينية المصرى، إذا أحسن إعداده، يمكن أن يصبح وسيط المعرفة بين الصين والعالم العربى كله. نحتاج إلى باحث مصرى يقرأ الخطة الصينية وعقد الشركة وسلوك السوق من غير وسيط، وهذا الباحث لن يخرج من قسم اللغة وحده.

■ **حصل العديد من المترجمين المصريين على أعلى وسام ثقافى فى الصين، وهو جائزة الدولة الصينية للأسهام المتميز فى مجال الكتاب. من هم هؤلاء المترجمون؟ وكيف يمكن الاستفادة من خبراتهم فى تعزيز الشراكة الثقافية المصرية الصينية؟**

– الجائزة تمنحها الحكومة الصينية منذ عام ٢٠٠٥ للأجانب الذين يسهمون فى ترجمة الكتاب الصينى ونشره، وهى أرفع جائزة صينية موجهة إلى الأجانب فى مجال الكتاب تحديداً.

وأخصى من المصريين الحاصلين عليها سبعة، هم: الدكتور محسن فرجاني عام ٢٠١٣، ثم أنا عام ٢٠١٥، والدكتور حساين فهمى حسين عام ٢٠١٦، والترجمة يارا المصرى عام ٢٠١٩، والدكتور عبدالعزيز حمدي عام ٢٠٢٤، والدكتور يحيى مختار عام ٢٠٢٥. والأستاذ حسين إسماعيل، نائب رئيس تحرير الطبعة العربية لمجلة «الصين اليوم».

هذه الأسماء تكشف عن وجود جيلين أو ثلاثة من المترجمين المصريين عن الصينية، لكنها تكشف أيضاً أنه لا توجد مدرسة مصرية للترجمة عن الصينية رغم هذا الحضور.

نحتاج إلى شبكة تجمع هذه الخبرات، وتضع دليلاً موحدًا للأسماء والمصطلحات، وتدريب المترجمين الجدد، وتقترح أولويات مصرية للترجمة. وقد بدأنا من جانبنا جائزة باسم الدكتور وحيد السعيد، أستاذ الأدب الصينى الراحل، لشباب المترجمين عن الصينية.

■ **ما أبرز التحديات التى تواجه المترجم من الصينية إلى العربية عند ترجمة الأعمال الأدبية والإبداعية؟ وما الذى يختلف عند ترجمة الأعمال المصرية إلى الصينية؟**

– أصعب ما فى الترجمة من الصينية أن الكلمات تعبر الحدود أسرع من معانيها. ومن الأمثلة على ذلك رواية ليو جين يون التى ترجمناها بعنوان «طلاق على الطريقة الصينية»، بينما اسمها الأصلى «أنا لست بان جين ليان»، وهى شخصية من رواية كلاسيكية صينية ترمز فى الذاكرة الشعبية إلى الخيانة.

القارئ العربى لا يعرف هذه الشخصية، ولذلك كان علينا اختيار عنوان يقرب موضوع الرواية إليه، لكن ذلك يعنى خسارة الإحالة الثقافية التى يحملها الاسم.

كما أن السخرية الصينية تحتاج إلى إعادة صياغة دقيقة؛ فإذا نقلتها حرفياً فقدت روحها. وإذا صغتها بروح النكتة المصرية ابتعدت عن الكاتب. لذلك لا أؤمن

■ **بداية، ما الدافع وراء تأسيس مجموعة بيت الحكمة للثقافة، التى تأسست عام ٢٠١١ وما أجندة المجموعة وأولوياتها فى مجال الترجمة، خاصة أن إصداراتها وصلت إلى نحو ١٠٠٠ كتاب مترجم من الصينية إلى العربية خلال ١٥ عاماً؟**

– الحقيقة أن «بيت الحكمة»، لم يبدأ كمشروع للنشر، وإنما بدأ برغبة شخصية فى ممارسة ما أحب. وعندما ذهبت إلى الصين اكتشفت أن معرفة اللغة شىء، ومعرفة الصين شىء آخر، وأن المسافة بين العرب والصينيين كانت مسافة فى المعرفة. كانت التجارة تتوسع سريعاً، لكن الكتب لم تكن تعبر بالسرعة نفسها.

بدأنا بمكتب صغير فى ينتشوان، وكان هدفنا أن ننجز الكتاب الأول بطريقة تجعل الناشر الصينى يثق بنا، والقارئ العربى لا يشعر بأنه يقرأ نصاً كتب فى لغة أخرى.

وبعد ١٥ عاماً تجاوز إجمالى إصداراتنا ١٣٠٠ عنوان، بينها أكثر من ٨٠٠ كتاب نقلناه من الصينية إلى العربية، إلى جانب الكتب العربية التى نشرناها أو نقلناها إلى الصينية، وتوسع العمل إلى ٦ دول. كما أعطينا الفرصة لأكثر من ١٢٠ مترجماً مصرياً عن الصينية للعمل معنا. لكن السؤال الذى يهمنى ليس عدد الكتب التى ترجمناها، وإنما الصورة التى صنعتها هذه الكتب عن الصين، وما الذىبقى خارجها. لذلك أصبحت أولويتنا اليوم توسيع الاختيار، ونقل الكلاسيكيات مباشرة عن الصينية، وفتح الطريق المعاكس أمام الكتاب العربى فى الصين.

■ **ألفت عدداً من الكتب عن الصين من الداخل وسياساتها الثقافية والخارجية، وجهت إلى الجمهور المصرى والعربى، من أبرزها «الصين من الداخل: ثقافة العقل السياسى الصينى»- من كونفوشيوس إلى شى جين بينغ»، وأحدثها «ما بعد الهيمنه». ما أبرز ما يميز الصين ثقافياً على المستوى الدولى عن غيرها من الدول؟**

– ما يميز الصين هو أن الثقافة والإرث الحضارى لعبا دوراً كبيراً فى تنظيم المجال العام والعلاقة بين الأسرة والتعليم والسلطة. رأيت ذلك حتى فى تفاصيل الحياة اليومية، مثل آداب تقديم الشاي وترتيب المقاعد على المائدة، وهى أمور رأيت فيها أثرًا للتراث الكونفوشيوسى. عشت سنوات بين مسلمى قومية هوى فى نينغشيا، ورأيت مساجدهم، لذلك فالصين ليست بلداً بلا دين، لكن الثقافة والإرث الحضارى كان لهما تأثير كبير فى تنظيم المجتمع.

هدفى من التأليف هو أن أروى قصة الصين بعين عربية، وكما يمكن أن يفهمها العرب، وليس كما تروىها الصين عن نفسها؛ لأن هذا شأن تقوم به الترجمة. لذلك حرصت أن تكون مؤلفاتى عن الصين من العرب للعرب، بعقل عربى يرى الصين ويشرحها، والهدف هو الفهم، لأن حسن الفهم يعطى علاقات أفضل وتطوراً أكبر على المستويات كافة.

■ **عندما بدأت دراسة اللغة الصينية قبل ٢٥ عاماً، ثم سافرت إلى الصين قبل ١٥ عاماً، لاحظت أن معظم الاهتمام كان منصّباً على العلاقات السياسية والتجارية والاقتصادية. هل ما زال الأمر كذلك على مستوى حركة الترجمة، بحيث تحظى الموضوعات السياسية والتجارية والاقتصادية بالاهتمام الأكبر على حساب الأعمال الثقافية والأدبية والإبداعية؟**

– فى السنوات الأولى ترجمنا ما كان يمول، وكانت كتب الفكر السياسى والاقتصاد هى الأكثر طلباً. لكن ما غير نظرتى هو أننى ترجمت مقاطع من أعمال الأديب الصينى وانج شياويو ونشرتها على «فيسبوك»، فانتشرت بطريقة لم تحدث لآى كتاب سياسى ترجمناه. فهمت وقتها أن القارئ العربى قرأ عن الصين كتباً تشرح الخطط الخمسية والتنمية، لكنه لم يلتق فيها بصينى يضحك أو يخاف أو يسخر من نفسه. الأدب قدم له هذا الإنسان.

اليوم يوجد قارئ عربى يشتري الرواية الصينية بماله، وهذا مؤشر مهم على التغير، ومع ذلك ما زال نصيب السياسة والاقتصاد أكبر. وفى رأىى يحتاج الطريقان إلى بعضهما؛ فالوثيقة تقول كيف ترى الدولة نفسها، بينما الرواية تقول ماذا فعلت التحولات بحياة الناس، ومن قرأ إحداهما دون الأخرى عرف نصف الصين.

■ **تعد مصر من أكثر الدول العربية والإفريقية من حيث عدد دارسى اللغة الصينية. كيف يمكن استثمار هذه القاعدة الكبيرة من الدارسين فى تعزيز العلاقات الثقافية بين مصر والصين خلال الفترة المقبلة؟**

– الاستثمار الحقيقى فى هذه القاعدة هو نقلها من مرحلة «من يتحدث الصينية، إلى مرحلة «من يفهم الصين». وهذا يحتاج إلى إقامات دراسية طويلة

أحمد السعيد:

لم تعد الترجمة بين العربية والصينية مجرد عملية لنقل الكتب من لغة إلى أخرى، بقدر ما أصبحت أحد أهم الجسور التى تتيح لكل مجتمع أن يكتشف الآخر ويفهم ثقافته وطريقة تفكيره ورؤيته للعالم، فالكلمة قد تعبر الحدود بسهولة، لكن المعنى والسياق والإيحاءات الثقافية لا تنتقل بالسهولة نفسها، وهو ما يجعل مهمة المترجم أكثر تعقيدًا من مجرد البحث عن المقابل اللغوى. من هذه الزاوية، يتحدث أحمد السعيد، الرئيس التنفيذى لبيت الحكمة للثقافة، عن تجربة امتدت لأكثر من 15 عامًا فى الترجمة والنشر بين العربية والصينية، أنتج خلالها «بيت الحكمة» مئات العناوين الصينية المترجمة إلى العربية، إلى جانب محاولات لنقل الأدب والفكر العربى إلى القارئ الصينى.

وبرى السعيد، أن الترجمة الحرفية قد تحافظ على الكلمات لكنها تقتل أحيانًا روح النص، خصوصًا عندما يتعلق الأمر بالسخرية والإيحاءات والأمثال والمرجعيات الثقافية التى قد تكون مفهومة للقارئ الصينى، لكنها تحتاج إلى معالجة خاصة حتى تصل إلى القارئ العربى بالمعنى نفسه.

حسام الضمرانى



ما يميز الصين أن الثقافة والإرث الحضارى ينظمان حياة الناس

«بيت الحكمة» لم يبدأ كمشروع للنشر بل رغبة فى ممارسة ما أحب

إجمالى إصداراتنا تجاوز 1300 عنوان بعد 15 عامًا من العمل

صغيري الحبيب

تأليف: مو يان

ترجمة: أحمد السعيد

في قديم الزمان، كانت عجوز تسكن قرية جبلية صغيرة، وتعيش وحيدة. وذات يوم، بينما هي في مطبخها تقطع الخضروات، جرحت إصبعها الوسطى من غير قصد، فنزف دمًا كثيرًا. مسحت العجوز الدم بحركة عابرة على كتلة صغيرة بالية من مكسدة قش تأكلت أطرافها، ثم ألقته بجوار حظيرة الدجاج في فناء البيت. وبعد عدة أيام، في ليلة اكتمل فيها القمر، استيقظت العجوز منزعورة على صرخات الدجاج.

عرفت أن ابن عرس يسرق الدجاج، فخطفت من جوار سرير الكائغ، مكسدة تستخدم للتنظيفه، وتقدمت إلى الفناء وهي ترتجف. رأت ابن عرس سمينًا يتسلل عبر شق في باب الحظيرة، فيما كانت الدجاجات بالداخل تطلق صرخات متتالية من الفزع.. صوّبت المكسدة نحوه ورمته بها، وهي تصرخ غاضبة: أيها المتشدد الوقح، اغرب عن وجهي!

ولكن، لم سبّت العجوزُ ابن عرس بهذا الوصف «المتشدد الوقح»؟

لأن هذه الزمرة من الحيوانات، طالما عاشت خلف مائدة القرابين في معبد متهدم قريب، فالتقطت كلام البشر من أفواه المشرّدين الذين يابون إليه. ولم تكتف بإجادة لغة البشر، بل أصبحت شرّارة، تهيل إلى اللغو والمزاح الثقيل، بارعة في التكلّف والتصنّع، مولعة باستعمال الألفاظ الضخمة وكأنها تخطب في جمع غفير.

كانت العجوز قد رأت ذات مرة، أحد أولئك المتشدقين الوقحين يقف على سور بيتها منتصبًا على قائمته الخلفيتين كالبشر، وهو يضع إحدى قائمته الأماميتين في خاصرته، ويلوح بالأخرى في الهواء، وفمه كالبوب الصغير يصيح:

«النهر العظيم يجري شرقًا لا يتوقّف،

وأواجه تمحو الأبطال..

أحوال الدنيا: إذا طال الفراق آل إلى اجتماع،

وإذا طال الاجتماع آل إلى افتراق..

لكلمات عشوائية قد تُسقط الأستاذ الماهر،

وأشدّ ما يخشاه المحتال أهل بلدته..

المرء يزني، والفرس يسرجه،

وأسرع الجياد يحتاج إلى ثلاث ضربات بالسوط..

عند لقاء الصديق الأليف، لا تكفى ألف كأس،

وإذا لم تتوافق القلوب، فكلمة واحدة كثير..

وهنا... لا بدّ من التصفيق!».

التقطت العجوز حجرًا ورمته نحوه وهي تسبّه قائلة: تبّ! لك!

قفز المتشدد الوقح من فوق السور هاربًا. ومنذ ذلك اليوم، عقد المتشددون الوقحون عداوة مع العجوز، وصاروا يترددون على بيتها لسرقة الدجاج.

أصابت المكسدة ظهر أحدهم، فأخرج رأسه من الحظيرة، واعتدل قائمًا، واضعًا إحدى قائمته على خاصرته، ومشيرًا بالأخرى نحو العجوز وهو يصرخ: أيّتها العجوز اللعينة! لن أتركك وشأنك! ثم انطلق يعدو وختفى.

التقطت العجوز المكسدة، ويحث عن حجر آخر سدّت به شق الحظيرة بإحكام. وفي تلك اللحظة، ونحت ضوء القمر، لمحت شيئًا صغيرًا يقفز عند أسفل الجدار. تقدّمت خطوة، وانحت تتأمله عن كثب، فإذا به تلك الكتلة الصغيرة من المكسدة البالية التي مسحت بها دم إصبعها.

خافت قليلًا في البداية، لكن سرعان ما رأت كتلة المكسدة تلمع بضوء أزرق خافت، ثم دقت النظر أكثر، فإذا بها على هيئة طفل صغير له ذراعان، وساقان وأنف وعينان. ظل يقفز قفزات منتظمة، ويصدر صوتًا رقيقًا يشبه غناء كلمنين جناح نحلة.

نسبت العجوز ما سبّبه لها المتشدد من ضجر، ونادت الكتلة الصغيرة بصوت عال: ارفع صوتك بالغناء، ألا تعرف أن سمعي ضعيف؟

رفع الصغير صوته قليلًا، لكنّ العجوز لم تسمع بوضوح، فقالت: أعلى قليلًا!

عندها سمعته بوضوح. كان واضحًا أنه يبدل أقصى ما

يستطيع وهو يصيح:

مرحبًا، أيّتها العجوز!

قالت: لا تنادني بالعجوز. أنا جدتك!

قال: أنت لست جدتي.

قالت: لقد صرّت روحًا لأنك تلطخت بدم إصبعي، ولذلك فأنا جدتك.

حسنًا... قالها الصغير، وكأنه غير راض تمامًا. جدتي تعيش العجوز وحدها منذ سنين طويلة، ولطالما تمثّت في أحلامها أن يرافقها طفل.

حين نطق الكتلة الصغيرة بكلمة «جدتي، ملأ قلبها حلاوة. وضعت العجوز المكسدة التي بيدها تحت إبطها، ثم انحت ومدّت يديها قائلة:

أيها الصغير، اقفز إلى راحتي، دعني أرى هيئتك الصغيرة.

قفّز إلى راحة يدها، وناداهَا مرة أخرى بصوت عذب: «جدتي».

أجابته بسرور، وضبقت عينيها، وأخذت تتفحصه، فإذا به أقل من نصف قدم طولًا، له رأس مستدير بحجم حبة الجوز، تملؤه خصلة من شعر منقوش مبعثر، وأذنان كبيرتان بارزتان، وعينان صغيرتان نصف مغمضتين، وأنف في حجم حبة الفول السوداني، وفم بحجم حبة فاصولياء، وذراعان نحيلتان كبرعميّ فاصولياء، وساقان قصيرتان دقيقتان كعودى قش رهييعن.

رفعته العجوز بكلتا يديها وقالت في فرح: يا صغيرى العزيز، الآن صار لى من يؤنس وحدتى.

حملته معها إلى سرير الكائغ، وأحضرت له جوربًا ليكون كيسًا للنوم، وغلبة كبريت ليجعلها وسادة.

قال: أنا أنام في النهار، وأغنى في الليل.

قالت العجوز: حسنًا، غنّ.

أخذ يقفز فوق السرير وهو يغنى:

أنا كتلة المكسدة الصغيرة، أنا كتلة المكسدة الصغيرة

الغناء والرقص يبهجاننى، الغناء والرقص يبهجاننى.





فرحت العجوز فرحاً شديداً، ودون أن تشعر راحت تردد معه.

ثم قال بشقاوة: يا جدتي، أنا الكتلة الصغيرة، وأنت الكتلة الكبيرة.

ضحكت العجوز حتى دمعت عينها فرحاً.

في الليلة التالية ارتفع صباح الدجاج في الحظيرة مرة أخرى، فراحات العجوز تقرر قضبان النافذة باندراج المكنتسة وتصبح بأعلى صوتها، تريد أن تُفزع المشتدق الوقح، لكنه لم يلتفت. وازداد عويل الدجاج، كأن أنيابه قد انخرست في أجنته.

قال الصغير: جدتي، دعيني أبعده.

تأملته العجوز وتنهَّدت: يا صغيري الحبيب، كيف تصارعه بهذا الجسد الصغير؟ سأخرج أنا.

وأخذت المكنتسة تريد النزول عن سرير الكانغ، فأنشد الصغير:

سنجة الميزان صغيرة لكنها تميل بالكفة
وحبة الفلفل صغيرة لكنها تحرق الشفة
لا تنظري إلى صغري، ففي جسدي حيلة مخفية.
ضحكت العجوز قائلة: يا صغيري الحبيب، حتى الأناشيد الشعبية تجيدها! حسناً، لنذهب معاً.

قال: أعطني إبرة يا جدتي.

فتشت في صندوق الخياطة وأخرجت إبرة غليظة تخاط بها النعال، ووضعتها في يده قائلة: انتبه لنفسك. اجاب بينما يقبل الإبرة بين أصابعه: اطمئني. ثم وثب وثبة واحدة، وانحدر من فوق السرير.

قالت العجوز في قلق: احذر يا صغيري، ثم تبعته مسرعة إلى الفناء.

في تلك الليلة كان ضوء القمر أشد سطوعاً من الليلة السابقة، حتى عيدان العنكب بدت واضحة للعين.

أزاح المشتدق الوقح الحجر الذي يسد باب الحظيرة وفتح شقاً واسعاً ودس معظم جسده للدخال بينما ظل ذيله الكبير يتأرجح بعيداً ويساراً.

صاح الصغير: قف أيها المشتدق الوقح، لقد جاء سيدك الكتلة!

رأت العجوز الصغير يلوح بإبرة فولاذية ويثب والإبرة تلمع في يده نحو المشتدق الوقح.

تراجع المشتدق الوقح من الحظيرة واعتدل قائماً يتفحصه، ثم أطلق ضحكة باردة قائلاً: ظننت أنه جاءني بطلاً، فإذا به قطعة مكنتسة بالية!

ثم رفع ريشة عاتقة بمخبله إلى فمه ونفخ فيها، فطارت في ضوء القمر متمائلة حتى اختفت، وانحرف المشتدق الوقح بجسده قليلاً وجرّ ذيله خلفه وأخذ يطرُق الأرض بإحدى قدميه بايقاع منتظم وقائمتيه الأماميتين على خصره وهو يطلق صفيراً بلحن مرح.

أثار غروره غضب الصغير فقفز عالياً في الهواء ثم اندفع نحوه صارخاً. لكن المشتدق الوقح تنحى بخفة، فاندفع الصغير في الفراغ واصطدم بالحظيرة بقوة جعلته يترنح، ثم وقف بهتئز كمن أصابه دوار.

صرخت العجوز مفرعة: انتبه يا صغيري!

أمسك المشتدق الوقح بالخصلة المنتصبة فوق رأس الصغير، وراح يديره في الهواء كأنه يرمى قرصاً. دار به دورة، ودورتين، وثلاثاً ونصف دورة، ثم اهلت، فانطلق الصغير في الفضاء وهو يصرخ، ولولا أن العجوز تلتفته بصدرها، لطار أبعد من ذلك بكثير.

دفعتها الصدمة بقوة حتى تراجعت خطوات، ثم وقعت جالسة على الأرض. مدت يدها تتحسسه في قلق وقالت:

يا بنس، هل أنت بخير؟

هز الصغير رأسه وقال: بخير، اطمئني يا جدتي.

انتفض المشتدق الوقح واقفاً على ساقيه الخلفيتين وقال في زهو: أيها الصغير! هل سترضع أم نعيدها؟

وثب الصغير مقترباً من المشتدق، ولكنه تذكر ما حدث قبل قليل، فلم يندفع بهتوًز كما فعل أول مرة، بل دار حوله وهو يصفّر. أحياناً يتخذ هيئة الهجوم ثم يندفع فجأة، فيشد المشتدق الوقح جسده استعداداً للصد، لكنه

ما يلبث أن يرتد إلى الخلف، يدور يساراً ويميناً، دورة بعد دورة، ويلوح بالإبرة الفولاذية اللامعة. يقترب حيناً حتى يكاد يلامس جسده، ثم يتراجع، حتى أربك المشتدق الوقح وجعله يدوخ في مكانه.

قال المشتدق الوقح في غضب: يا صغير، ماذا تفعل؟ لن ألعب معك!

وما إن بدا يهبط على قوائم الأربع ليغار، حتى رأت العجوز الصغير يقفز كالبرق على ظهره. لمت الإبرة في يده لمة خاطفة، وإذا بسائل أخضر يندفع من العين اليمنى للمتشدق الوقح، وسمنت صراخ ألم شديد.

رأت العجوز الصغير يتسابك مع المشتدق الوقح ويتدحرجان على الأرض. ضاق صدرها، وضربت بقدميها في قلق، وهي عاجزة عن المساعدة. وفجأة خرج من مؤخرة المشتدق الوقح صوت مكتوم، وتضاعد دخان أصفر.

صاحت العجوز للصغير: انتبه!

لكن الرائحة سبقت صوتها، فامتألاً الهواء بريح نتن خانق، دامهما الدوار، فرفعت طرف ثوبها إلى فمها

وانفها. سقط الصغير على الأرض، واستلقى ممدوداً.

أما المشتدق الوقح، فانحرف بجسده ومضى مترخاً. كتمت العجوز أنفاسها، اقتربت، وانحنّت، حملت

يا صغيري الحبيب، يا طفلي، لم يعض على تعارفنا سوى يومين، ولم أتخيل أن تموت بسبب ربح ننته من

مشتدق وقح. كل ذلك بسببي، كان ينبغي أن أحذر.

تحرك الصغير ببطء فوق حجر الطحن، ثم اعتدل بصعوبة، تمايلت قدماه وكاد يسقط من الحافة. غطى فمه بيده، وتجشأ عدة مرات، ولوّح بكفه أمام أنفه ليبيد

الهواء، وقال وهو يلهث:

يا إلهي هذه الرائحة ننته جداً!

قالت العجوز: جدتك تعلم أنّ هؤلاء المشتدقين الوقحين يملفون ريحاً كريهة، لكنني لم أتوقع أن تكون

بهذه الشدة.

قال الصغير: لقد فقأت إحدى عيني، وأخشى أن يعود غداً للالتقام. ماذا تفعل؟

قالت العجوز بحزن: نعم ماذا تفعل؟

في اليوم التالي، تركت العجوز الصغير ينام على سرير الكانغ.

أما هي، فدعمت حظيرة الدجاج بالوطوب والحجارة، ثم ذهبت إلى بيت صياد في القرية المجاورة واستعارت

منه مصائد حديدية لاصطياد الحيوانات. بحلول الليل، وبعدما دخلت الدجاجات الحظيرة، نصبت

الصيد ووثبتها حولها.

ارتفع القمر في السماء، وتسرب ضوءه عبر قضبان

النافذة، فأضاء الغرفة كلها. وجلست العجوز على سرير الكانغ، وبين حين وآخر تميل برأسها نحو النافذة، تنظر

من ثقب في ورق يغطي النافذة إلى الخارج.

أما الصغير، فحمل الإبرة على كتفه وظل يثب فوق السرير، وهو يردد:

لا أخاف شيئاً، إلا أن يطلق المشتدق الوقح ريحه

لا أهاب أحداً، إلا أن ينثف المشتدق الوقح دخانه

الأصفر.

قالت العجوز بقلق شديد: نعم ماذا سنفعل؟

فجأة توقف الصغير عن التفتن، وأسند الإبرة بيد، وضرب صدره باليد الأخرى وهو يقول: جدتي، خطر لي

حل.

قالت بلهفة وقلق: يا صغيري الحبيب، أسرع، ما الحل؟

قال: يا جدتي، هل تستطيعين أن تجدي قطعاً من

قمصان الناموسية، تطوئينها طبقات، وتخبطين على جانبيها أربطة لتعلقها على الأذنين؟ هكذا يغطي

القمماش الفم والأنف، فلا نخشى دخانهم الأصفر ولا ريحهم الكريهة.

فكرت لحظة، ثم قالت: هذه فكرة جيدة جداً! في

الصندوق قطعة قمماش بقيت من ناموسية العام الماضي، سأخيطها الآن.

كانت العجوز في شبابه بارعة في أعمال الإبرة

والخيط، وعلى الرغم من تقدمها في السن، فإنها لم تفقد مهارتها.

تمدد الصغير أمامها، وأسند ذقنه إلى كفيه، يراقب

قصها وخياطتها، ويطلق بين حين وآخر عبارات إعجاب.

صنعت أولاً قناعاً صغيراً، وألبسته الصغير لجذبه.

قال: الأربطة أطول قليلاً.

عدلتها، وأعاد ارتداده. فقال في سرور: الآن صار

مناسياً، لم أخشى دخانهم ولا ريحهم بعد اليوم.

ثم بدأت تخيط لنفسها قناعاً.

ارتفعت جلبة في الفناء. نظرت العجوز والصغير من

ثقب ورق النافذة، فرأيا عشرات من المشتدقين الوقحين

قد تجتمعوا بالفناء، يتقدمهم ذاك الذي ظهر في الليلة الماضية. كان يضع عصاية سوداء على عينه، منتصباً

كإنسان، يلوح براية سوداء صغيرة، ويصيح نحو النافذة:

يا قطعة المكنتسة البالية، يا عجوز الشؤم، أخرج! اليوم سيكون القتل بيننا حتى الموت!

كانت العجوز تهر الإبرة في القماش بسرعة، وتخييط القناع. وفي الفناء ارتفعت ضوضاء المشتدقين الوقحين.

لوّح ذو العصاية السوداء بالراية الصغيرة وهتف، يا أولاد، استعدوا!

وانت يا حظيرة الدجاج، هجوماً!

فصاحوا: هجوماً!

انطلقوا يتسابقون نحو الحظيرة، لكن ما إن اقتربوا

حتى دوّت أصوات المصائد الحديدية وهي تنطبق عليهم، وتبعها عويلهم وقد أمسكت بهم المصائد.

أمهم ذو العصاية السوداء بالانسحاب فوراً. ووقف من بعيد ينظر إلى الاثنين من المشتدقين الوقحين سحقتهما

المصائد، وكان هناك اثنان آخران انطبقت المصائد على أرجلهما، وظلا يصرخان.

اشتد غضبه وصاح: أيتها العجوز الفظة الخبيثة! لن أتركك! إن كان فيك شجاعة فاخرجي! ما لك تختبئين

في البيت؟

وانت يا قطعة المكنتسة البالية، طلعت عيني فأعيتها.

الليلة نصفى كل الحساب القديم والجديد معاً!

وتحت قيادة الأعور، شنّوا جميعاً هجوماً قوياً على

النافذة. جمعوا الحمص والتراب بمخالبهم، وقذفوه بقوة على النافذة. كان الورق الذي يغطي النافذة يضرب

فيُصدّر صوتاً متتابعاً، واخترقت حصوات صغيرتان

الورق وسقطتا على سرير الكانغ. بل إن أحدهم، وكان

أكثرهم جراً، قفز إلى حافة النافذة من الخارج، وأمسك

بقضبانها واعتدل واقفاً.

رأت العجوز والصغير ظل المشتدق الوقح بوضوح. ثم

قفز آخر، وادخل أنفه الحاد من ثقب الورق، كأنه يتشمّم

رائحة. وجّه الصغير إبرته إلى ذلك الأنف الأسود وطعنه بقوة، فصرخ المشتدق الوقح في الخارج:

يا أمي ما أشد هذا الألم!

ثم سُمع صوت مكتوم، وكأنّ سائلاً رُمي على ورق

النافذة، وبدأت الرائحة الكريهة تتسلل من الثقب. لكن

لأن الصغير يرتدى القناع، لم يشم شيئاً. أما العجوز

فارتدت القناع الذي انتهت من حيakte لتؤثها.

وسمعا بالخارج القائد الأعور يولّغ الصغير الذي

طعن أنفه قائلاً: أيها الأحق، من أمرك أن تطلق الريح؟

قال الصغير باكياً: لقد طعن أنفي!

قال الأعور بحدة: أكرر مرة أخرى، الريح سلاح نجاتنا،

ولا تُطلق إلا عند الضرورة القصوى.

قال الصغير: جدتي، لقد فهمت الآن.

قالت العجوز: ماذا فهمت؟

قال: إنهم يحتاجون أياماً طويلة ليجمعوا ريحاً

واحدة، فإذا أطلقوها انتهى ما لديهم.

قالت: الآن لدينا اقنع، لا نخشاهم.

قال: هل نخرج لنقاتلهم؟

قالت: لا تتعجل. دعهم يعيثون قليلاً أولاً، ثم نخرج.

أما المشتدقون الوقحون، فحاولوا استدراج العجوز

والكتلة الصغير إلى خارج البيت. مرةً يصطفون في

صفوف ويشتمون بأقذار الألفاظ، ومرةً أخرى يتعاونون

على حمل عصا خشبية، ويتوجبه قائدهم يندفعون بها

نحو جرّة الماء الكبيرة الموضوعة تحت شجرة الكمثرى. ولكنه

كانوا يتراجعون عشر خطوات، ثم يندفعون بقوة، ثم

يتراجعون، ثم يندفعون من جديد، والعصا تصطدم

بجدار الجرّة فتصدّر صوتاً مجلجلاً. وأخيراً انكسرت

الجرّة تحت ضربياتهم، فانجمر منها سيل مندفع،

وارتفعت صياحات المشتدقين الوقحين الصغار من شدة

الحماس. جرف التيار أحدهم فأوقعه أرضاً، ودفعه

مسافة بعيدة قبل أن ينهض. كان جسده مبتلاً، وقد

التصق شعر ذيله بعظمه، فصار ذيله كحبة ميتة.

قالت العجوز بألم: هذه الجرّة استعملتها خمسين

عاماً، وما هي اليوم تتحطم على يد هؤلاء المشتدقين

الوقحين.

قال الصغير: جدتي، لنندفع إلى الخارج ونثأر للجرّة!

قالت: تمالك غضبك، أريد أن أرى ماذا سيفعلون بعد

ذلك.

جفّت مياه الجرّة، وابتلّ نصف الفناء. بدا المكان لامعاً

تحت ضوء القمر.

تجمّع المشتدقون الوقحون حول حجر الطحن، ولكي

وقائدهم الأعور يرفع مقضاً سدناً، فلاه في ثقب حجر

الطحن وهو يقول: يا أولاد، لقد حطمتنا جرّتها، ولن

يبقى لها ماء، والآن نحطم حجر الطحن، ولن يبقى

لها دقيق. دعوها تموت عطشا وجوعاً!

صرخوا جميعاً: لتَمُت عطشاً! لتَمُت جوعاً!

ثم صاح: يا أولاد.. هجوماً!

قفزوا واحداً بعد آخر إلى اللوح الدائري أسفل حجر

الطحن. بعضهم يدفع عصا الطحن، وبعضهم يدفع

الحجر نفسه. دار حجر الطحن. لم يذر فقط، بل أخذ

يسرع شيئاً فشيئاً. جلس الزعيم الأعور إلى الداخل. ارتفع

الحجر، وضغط بقوة بالمصّ المكسور إلى الداخل. ارتفع

من جوف الحجر صوت حاد مزعج، ومعه تآثرت شرارات

لامعة تطايرت من الفتحة.

في الحقيقة، لم يكن المشتدقون الوقحون الصغار

سوى حيوانات تحب اللعب والعيب، أشبه بأطفال

مشاكسين. وحين رأوا الشرارات تطايرت من حجر

الطحن، تعالت صياحاتهم من شدة الحماس. ولكي

تتناثر شرارات أكثر، بدؤوا كل قوتهم. دار حجر الطحن

يسرعة هائلة، وانفجرت الشرارات دفعة بعد دفعة، حتى

خفت ضوء القمر أمام بريهما.

وأخيراً تعبوا جميعاً، فصاروا يتمايلون، يثنون

ويضحكون، هذا يدفع ذاك، وذاك يسكب هذا، حتى

تدحرجوا في كتلة واحدة، وكانهم نسوا سبب مجيئهم.

قالت العجوز: يا صغيري الحبيب، حان الوقت، يجب

أن نخرج.

قبضت على المكنتسة، وأمسك الصغير إبرته، وتقدّما

بهدهو إلى الباب.

رفعت المزلاج برفق، ثم فتحت الباب دفعة واحدة.

اندفع ضوء القمر إلى الداخل كاملاً. خرجا إلى الفناء،

وانتجها نحو حجر الطحن.

أسقطت العجوز اثنين كانا مدبّدين فوق الرحي. أما

الصغير، فدخل في قتال منفرّد مع القائد الأعور.

ويفضل القناع، لم يعد يخاف الريح الكريهة، فاخذ

يلوّح بالإبرة كأنها عجلة تلمع، لا ينفذ خلالها شيء.

ولأن الأعور فقد عيناً، كان مجال رؤيته محدوداً، وعلى

الرغم من أنه أكبر حجماً بكثير، فإنه بدا واضحاً أنه

يتراجع أمامه.

تلقى الأعور طعنة أخرى في أذنه من إبرة الصغير.

صرخ، ورفع مؤخرته ليطلق ريحاً، لكن صوتاً مهيباً جاء

من فوق سور البيت: اثبت مكانك، اكتمها!

رفع الجميع رءوسهم نحو أعلى السور. هناك وقف

متشددان وقحان صغيران، أحدهما يرفع فأساً، والآخر

يمسك حرية ذات نصل عرض، بحرسان متشدّقاً وقحاً

ضخماً يلف جسده برداء أحمر. جسده ضعف حجم

جسد الأعور، وشعره بدا فخماً، يلمع ببريق ذهبي. ارتقى

المتشددون الوقحون جميعاً على الأرض، وهتفوا بصوت

واحد: عاش الملك! عاش الملك!

هزّ الملك عباءته إلى الخلف، فتلقّأها الحارس من

ورائه بمهارة. ثم قفز من فوق السور، وقال بحدة:

أيتها العجوز الخبيثة، نصبت المصائد في الخفاء

وأصبت أبنائى، فما عقابك؟

ابتسمت العجوز بسخريّة وقالت: حتى لو وضع

المشتدق الوقح تاجاً ذهبياً على رأسه، سيظل ابن عرس!

نظر الملك بتعال إلى الكتلة الصغير وقال:

أيها الكتلة البالية، لقد جرحت رجالي، فما عقابك؟

رفع الملك يده، فأعطاه أحد أتباعه الحرية ذات النصل

العريض. لوّح الملك بالحرية، وبدأ واضحاً أنه يجيد

استعمالها. وثب الصغير نحوه، غير أنّ الحرية كانت

تدفعه في كل مرة إلى الجانب، وكاد أن يُصاب بها أكثر

من مرة.

خافت العجوز أن يُصاب الصغير، فاندفعت نحوه وهي

تلوّح بالمكنتسة، لكنّ قدمها انزلقت في الطين، فسقطت.

سمعت صوت عظمها، فعرّفت أنها أصيبت. ومع ذلك،

صوّبت المكنتسة نحو الملك ورمتها عليه.

حرّك الملك رمحه برفق، فسقطت المكنتسة على

الأرض. ثم ركعها نحو أتباعه، فانقضّوا عليها، يعضونها

ويخدشونها بمخالبهم، حتى مرّقوها تماماً وصارت

خيوطاً متفرقة.

أمسك الملك بالحرية واندفع بها، يقود المشتدقين

</



شهدت حركة الترجمة من الصينية إلى العربية خلال العقدين الماضيين حراكاً ملحوظاً، بالتوازي مع تنامي الاهتمام بالصين وثقافتها وتاريخها وتجربتها الحضارية.

وفى قلب هذا المشهد يأتي دور المترجمين الذين لا تقتصر مهمتهم على نقل الكلمات من لغة إلى أخرى، وإنما تمتد إلى عبور المسافات الثقافية والتاريخية بين مجتمعين لكل منهما خصوصيته، ومن بينهم مترجم الأدب الصيني، الدكتور أحمد ظريف.

وخلال حوار مع «حرف»، يكشف الدكتور أحمد ظريف عن أسباب اختياره اللغة الصينية في وقت لم تكن تحظى بالانتشار الذي تتمتع به اليوم، كما يكشف عن تجربته في الدراسة داخل الصين، ومعايير اختياره الأعمال الأدبية، والتحديات التي واجهته في ترجمة النصوص، خاصة الأعمال التي تستند إلى التراث والكلاسيكيات.

نضال ممدوح

أحمد ظريف:

الصورة النمطية عن الصين كـ«دولة المنتجات الرخيصة» غير حقيقية

■ كيف بدأت علاقتك باللغة الصينية وأدائها؟ وما الذي دفعك إلى اختيار الترجمة منها إلى العربية؟

– بدأت علاقتي باللغة الصينية عند التحاقى بقسم اللغة الصينية بكلية الآلسن جامعة عين شمس، وقتها لم تكن اللغة الصينية شائعة مثل وقتنا الحالي، إلا أنني فضلت اختيار لغة نادرة لها مستقبل نظراً لأن الصين وقتها كانت بدأت رحلة الصعود القوي. وبالطبع كان الهدف من دراسة اللغة هو تسهيل التواصل على المستوى الشخصي ثم على مستوى أعلى لأكون جسراً للتواصل بين الصين والعرب عبر ترجمة الكتب الصينية.

■ ما أبرز الصعوبات التي واجهتك في البداية؟

– في البداية كان انتشار الإنترنت محدوداً، كذلك لم يكن هناك الكثير من الصينيين الموجودين في مصر، فكانت هناك صعوبات في ممارسة اللغة والبحث عن معاني الكلمات، فكانت أضطر للبحث كثيراً عن معنى كلمة واحدة، بينما في الوقت الحالي يمكن بضغطة زر معرفة معناها في ثوان. وكان من حسن حظي حصولي على منحة لدراسة الفرقة الثالثة في جامعة اللغات بيكين، والتي كان لها أبلغ الأثر في دراسة اللغة من مصدرها الأول والاحتكاك عن قرب بالمجتمع الصيني.

■ عندما تختار عملاً صينياً لترجمته، ما المعايير التي تحكم اختيارك؟ وهل الأولوية للقيمة الأدبية أم لأهمية الموضوع أم لدى قربه من القارئ العربي؟

– عند اختيار العمل أحاول بقدر الإمكان اختيار عمل معبر عن الثقافة الصينية وفي نفس الوقت يسهل تقبله من القارئ العربي. بالطبع لكل عمل طبيعته الخاصة المميزة، فهنا نحاول من خلال الأدب التقريب بين الشعوب والثقافات، لذلك فاختيار أعمال للترجمة هو مهمة صعبة للغاية.

■ إلى أي مدى يحتاج مترجم الأدب الصيني إلى معرفة بالتاريخ والفلسفة والعادات والموروث الشعبي الصيني حتى يستطيع نقل النص بأمانة؟

– بالطبع يجب على مترجم الأدب الصيني الإلمام التام بثقافة الصين وعاداتها وتقاليدها، وليس مجرد إتقان اللغة فحسب، فالجملة الواحدة يختلف معناها باختلاف الزمن واختلاف السياق، وعدم الإلمام الجيد بالعناصر السابقة قد يؤدي في النهاية إلى ترجمة حرفية تُخرج النص عن معناها الأصلي.

■ ما أبرز الأعمال التي ترجمتها

في رأيك ما أبرز نقاط الالتقاء

بين الحضارتين المصرية والصينية؟

– أبرز نقاط الالتقاء هي التمسك بالتقاليد، فالتقاليد المتوارثة عبر الأجيال تعد من النقاط الأساسية التي تحكم تعامل أفراد المجتمع مع بعضهم البعض، هذه النقطة نجدها واضحة أكثر في المجتمعات الشرقية بوجه عام، وبالطبع كلما ازدادت الحضارة قدماً زاد تأثير هذا العامل.



وتشعر بأنّها تمثل تجربتك

كمترجم بصورة حقيقية؟

– مؤخرًا قمت بترجمة رواية للكاتبة الصينية تشي تزيه جيان بعنوان «أجنحة جبل التنين»، هذه الرواية معقدة للغاية نظراً لكثرة شخصياتها وعدم وجود بطل واحد تدور حوله الأحداث، فالشخصيات كلها أبطال للرواية، وكل شخصية منهم لها حكاية مستقلة، هذه الحكايات تنسج فيما بينها رواية واحدة كاملة، فتلك الرواية من رأيي أشبه بلوحة من الموزاييك، قطع صغيرة تنسج لوحة كبيرة.

■ أي عمل من ترجماتك كان الأكثر تحدياً بالنسبة إليك؟ وما السبب؟

– بالتأكيد كانت ترجمتي كتاب «اقتباسات الرئيس الصيني شي جين بينج- الجزء الثاني» فهذا الكتاب احتوى على أهم الاقتباسات التي وردت في خطابات الرئيس الصيني، ومعنى كل اقتباس ومصدره، فالرئيس الصيني واسع الثقافة وشديد الاهتمام بالكلاسيكيات الصينية، لذلك دائماً ما يضمن في خطابه اقتباسات مشهورة في التاريخ الصيني، سواء كانت أمثالاً أم أبياتاً شعرية أم جملاً مشهورة لشخصيات تاريخية، كل اقتباس منها يمثل قصة كاملة في حد ذاته، فالأقتباس الواحد يعبر بكلمات قليلة عن معانٍ عظيمة تحتاج لشرح طويل، فكان التحدي هنا هو البحث عن قصة كل اقتباس، وترجمتها بشكل يفهم منه القارئ العربي المعنى العميق الكامن خلف الاقتباس،

■ إلى أي مدى يعكس الأدب الصيني التحولات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي شهدتها الصين خلال العقود الأخيرة؟

– الأدب بوجه عام هو مرآة المجتمع، فإن أردت معرفة حقيقة أي مجتمع بعيداً عن الأخبار والدعاية فيمكنك البدء من الأعمال الأدبية. الأديب الذي عاش في مجتمع ما يستمد إلهامه من القصص الحقيقية المحيطة به، ويستمد شخصياته من أشخاص عاشوا حوله، ويستمد حيكته من مواقف عاشها، ولكن هنا أحب أن أؤكد بأن الأعمال المترجمة من الصينية إلى العربية ليست بالضرورة أعمالاً حديثة أو أعمالاً تحكي عن الصين الحالية، فمنها الكثير من الأعمال التي تتحدث عن فترات تاريخية في الصين.

■ هل هناك تشابه في طريقة تعامل المصريين والصينيين مع مفاهيم مثل الأسرة، والعمل، واحترام كبار السن، والحفاظ على الموروث؟

– بالتأكيد هناك تشابه مذهل بين المصريين والصينيين في التعامل مع مفهوم الأسرة مثلاً، فالأسرة مقدسة، واحترام كبار السن واجب متاصل في وجدان كل مصري وكل صيني. وتعاليم «كونفوشيوس» أكدت تلك النقاط منذ أكثر من ألفي سنة، وكذلك الحضارة المصرية القديمة غرست تلك الأخلاق في نفوس المصريين وأكدت عليها الأديان فيما بعد. ففي الوقت الحالي نجد مفهوم الترابط الأسري حاضراً وبقوة في الحياة اليومية سواء للمصريين أو الصينيين، نجد ذلك في اجتماعات الأسرة في الأعياد مثلاً.. مثل عيد الربيع في الصين والأعياد والمناسبات الدينية لدى المصريين.

■ كيف تنظر إلى فكرة أن الحضارتين المصرية والصينية من أقدم الحضارات المستمرة في العالم؟ وهل يمكن لهذا التشابه التاريخي أن يشكل أرضية لحوار ثقافي؟

– الحضارة المصرية ليست مستمرة، رغم أننا أحفاد الفراعنة إلا أننا لا نتحدث اللغة المصرية القديمة ولا نكتب بالكتابة الهيروغليفية. بالطبع حافظ المصريون على بعض العادات المتوارثة منذ العصر الفرعوني مثل عيد شم النسيم مثلاً، ولكن لا يمكن القول إن الحضارة الفرعونية مستمرة حتى الآن. بينما الحضارة الصينية هي الحضارة الوحيدة في العالم التي استمرت منذ القدم بنفس اللغة ونفس الثقافة منذ نشأتها. العنصر الأهم هنا بالنسبة لي هو اللغة، فاللغة هي الوعاء الذي يحمل ثقافة الأمم وأفكارها وعاداتها وتقاليدها، إن غاب هذا

العنصر أو تغير فقدنا معه الكثير من التراث غير المادي، وللأسف هذا ما حدث في مصر لأسباب تاريخية كثيرة. إلا أنه رغم ذلك يظل هناك الكثير من التشابه التاريخي بين البلدين، وبالطبع البعد الحضاري يعد أساساً ممتازاً للتعاون في العصر الحديث، حيث من خلاله يمكن إيجاد الكثير من القواسم المشتركة.

■ ما أوجه الاختلاف الحضاري بين مصر والصين التي يلمسها المترجم بوضوح عندما ينتقل بين اللغتين والثقافتين؟

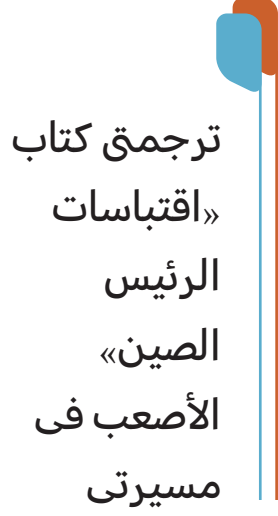
– ربما كان العنصر الديني هو من أبرز نقاط الاختلاف، فهناك كلمات شائعة في اللغتين مفهوم معناها لأصحاب اللغة بحكم تداولها بكثرة في الحياة اليومية، كلمة مثل «حلال»، مثلاً، نحن نفهم معناها، لكن حين نقلها إلى اللغة الصينية يتطلب الأمر شرحاً للكلمة وليس مجرد ترجمة، الأمر كذلك عند ترجمة بعض المصطلحات من الديانة البوذية مثلاً. وهناك أيضاً المصطلحات المرتبطة بعصر معين، فحين أترجم مصطلحات من عصر الثورة الثقافية في الصين مثل «عصابة الأربعة»، فهذا مصطلح يفهمه أي صيني لكن لا يمكن الاكتفاء بنقله كما هو إلى العربية، بل يتطلب الأمر شرحاً مفصلاً إلى أن يشيع المصطلح في اللغة العربية فلا يحتاج بعدها القارئ إلى إعادة شرحه وتفسيره.

■ هل ترى أن هناك عناصر مشتركة بين الأدب الشعبي المصري والصيني، خصوصاً في الحكايات والأساطير والأمثال والحكمة الشعبية؟

– بالطبع، هناك الكثير من الأمثال الشعبية المتشابهة بين الجانبين، وهذا أمر طبيعي، لأن الأمثال تمثل خلاصة حكمة وتجارب الشعوب وصياغتها بأسلوب بسيط يعبر عن معانٍ عميقة، وكلما طال تاريخ بلد ما زادت أمثاله الشعبية نتيجة لتراكم الخبرات والحكايات، كذلك هناك دائماً حكايات عن المواطن البسيط الذكي الذي يستخدم ذكائه ليهزم بلسانه من هم في المراتب الأعلى، كما في حكايات «جحا» الشعبية مثلاً والتي نجد لها مقابل في الحكايات الشعبية الصينية في شخصية «أفاندي».

■ كيف يمكن استثمار هذا التقارب الحضاري في تقديم الثقافة المصرية للقارئ الصيني، والثقافة الصينية للقارئ المصري؟

– بالطبع ترجمة الأعمال الأدبية تمثل الخطوة الأولى لأي تقارب، واعتقد أيضاً أن تحويل الأعمال الأدبية المترجمة إلى أعمال سينمائية وتلفزيونية قد يفتح المجال أمام جمهور أكبر لا يحب القراءة كثيراً ويفضل عليها السينما والتلفزيون.



تشابه مذهل بين المصريين والصينيين في التعامل مع مفهوم الأسرة

الرئيس شي جين بينج واسع الثقافة ومهتم بالأدب الكلاسيكي

يجب على المترجم الإلمام التام بثقافة الصين وليس اللغة فقط



أجنحة

جبل التنين

وعندما تخرجت أن شويه أن شويه من الإعدادية كان طولها ٩٢ سم، ومن وقتها توقفت عن النمو وثبتت عند هذا الطول.

أما مهارتها في نقش الشواهد الحجرية فلم تتعلمها على يد معلم، بل كانت هبة طبيعية من السماء. ففي عامها الخامس عشر، شخصت مستشفى الشعب بمنطقة سونغشان إصابة لاو يانغ، صاحب محل الأحذية بالقرية بسرطان الرئة في المرحلة المتأخرة، وقال الطبيب إنه لم يبق له أكثر من ثلاثة أشهر. وهكذا عاد لاو يانغ إلى القرية مثل ورقة الشجر الجافة وظل مكتئبًا في انتظار الموت، ولقد خشى أهله ألا يتحمل كثيرًا، وألا يصل حتى ثلاثة أشهر، لذا سارعوا بصنع تابوت له وتقصيل الكفن واختيار المقبرة، بل وحتى تعاوين جلب الأرواح التي تستخدم عند خروج الجنازة جهزوها أيضًا. وكانت أمنية لاو يانغ الوحيدة هي أن تقوم أن شويه أر بنحت شاهد قبره، قائلًا إنها ملاك هبط إلى عالم البشر، فلو نصب على قبره شاهد من صنعها فستجنب روحه العذاب وستطير إلى عنان السماء.

وهكذا توّكا لاو يانغ على عصاه، وعندما ظهر على باب منزل أسرة أن بوجه أصفر صاحب، كانت الجدة المطرزة مشغولة بصنع ملابس الفرح لعرسین جدد، فدعته للدخول وجلبت له كرسيًا ذا ذراعين ومسندًا وقدمت له الشاي الساخن. وعندما أخبرها لاو يانغ بأمنيته قالت الجدة إن

أن شويه أر تجيد الخط، وخطها جيد، لكن ليس لديها القدرة على نحت تلك الرموز على شاهد القبر، وحتى لو كان لديها تلك الموهبة، فأنى لها بالقوة للنحت وهي ضئيلة الجسد؟ وبينما هما يتحدثان كانت أن شويه أر تجلس على حافة النافذة تتأمل السحب في السماء، وما إن انتهت جدتها من كلماتها حتى أدارت أن شويه أر رأسها ناحية لاو يانغ وقالت له «جهاز الحجر والإزميل، سأذهب لمنزلك لأصنع لك الشاهد، فستمرت الجدة، ثم قالت: «طالما لا تملكين القدرة فلا تتحدثي بما لا طاقة لك به، لا تضيعي وقته.» لكن أن شويه أر لم تعرها اهتمامًا، بل عادت ببصرها لتراقب السحب المتراقصة في السماء. وفي اللحظة التي التفتت فيها ديت الحيوية في تلك السحابة الداكنة التي كانت تتخذ شكل حصان مريض يفرد ساقيه الأماميتين، كانت تأمل أن يقض بالكامل ليصبح حصانًا راكضًا، إلا أن السحابة تبددت في النهاية، فأسفلت تنهيدة ثم أدارت رأسها ناحية لاو يانغ وأسألته إن كان من مواليد برج الحصان، فهز رأسه أن نعم، فقالت له: «لن تموت هذا العام، فهل ما زلت ترغب في نحت ذلك الشاهد؟، فقال لاو يانغ، مستحيل، لقد قال أمير الأطباء إن السرطان انتشر، ولن أعيش سوى ثلاثة أشهر على أقصى تقدير، فلننحتّه.

بعد أن وافقت أن شويه أر أرسل لاو يانغ على الفور ابنه للمدينة واشترى شاهدًا حجريًا وطقم معدات نقش الرموز ومختلف الأنواع من الأزاميل الحادة والمسطحة. وهكذا بدأت أن شويه أر في صنع أول شاهد حجري في منزل أسرة يانغ. لم تكن تستخدم مسطرة للقياس، إلا أن المسافة بين كل رمز والثاني كانت مضبوطة تمامًا، وكانت تتعامل مع الإزميل بمهارة كتعاملها مع عيدان الطعام التي استخدمتها لسنوات عديدة، ولم يدر أحد منذ متى أخفى جسدها الضئيل هذا كل هذه القوة، فالإزميل في يدها كان أشبه بالقلم، خفيف ورشيق، وكانت تضع على

رأسها قماش شاش أبيض كالثلج كيلا يؤذي الغبار المتطاير مثل الفراشات جراء نقش الرموز عينيها، لقد كانت حين تجتو أمام الشاهد الحجري لنقش الرموز أشبه بالطائر الليلي الذي يهبط ليغني ويستريح على ظهر سفينته. انتهى العمل بذلك الشاهد في أسبوع واحد، فكانت الرموز المنقوشة عليه مفعمة بالقوة والفخامة وتبدو كأنها تطير، لا تشبه بأي حال من الأحوال خط فتاة صغيرة، وكان لاو يانغ راضيًا عنه تمام الرضا. أما ما أسعده أكثر فهو أن العمر الذي نقشته أن شويه أر على الشاهد كان أكبر من عمره المتوقع بسنتين.

وبالفعل عاش لاو يانغ لسنتين أخريين. ورأى حفيده كما كان يتمنى، وغادر عالمًا راضى القلب حزينًا كما كان يطمئ، وعندما كونه جدًا. ومن وقتها انتشرت الأقاويل حول معجزات أن شويه أر في صنع الشواهد الحجرية. ومن بعدها صار أهل قرية لونج تشان يدعونها المبروكة. أن. وصار كل من تجاوز السبعين في القرية لا ينسى أثناء تحضير الكفن والتابوت ومستلزمات الجنازة أن يختار شاهد القبر ويوصى ببناءه وأحفاده أن يطلبوا من أن شويه أر رحته له بمجرد أن يغادر عالمنا.

كانت الجدة المطرزة تتمتع بشهرة فائقة في مجال حياكة ملابس الزفاف، ولكن بسبب شهرة أن شويه أر المتزايدة يومًا بعد يوم في نحت شواهد القبور صار كل من عنده جنازة في القرى المجاورة يأتيها بشاهد حجري لتنقشه، فتحول فناء منزل أسرة أن إلى حديقة من شواهد القبور تنتصب فيها الشواهد الحجرية جنبًا إلى جنب، لذلك عرف العرسان الجدد عن القدوم للمكان بسبب جو سوء الطالع السائد فيه. وهكذا تركت أن شويه أر منزل جدتها، وقامت بتعديل منزل صغير مهجور مبني من الطين والواح الخشب يطل على نهر جيلاو عند الدخـل الشمالي للقرية وحولته لورشة لصناعة الشواهد الحجرية. رغم أن أن شويه أر صارت بالغة، إلا أن أسرتها كانت تنظر لها كطفلة، ربما بسبب قصر قامتها. لم يكن لديهم مانع أن تعمل، لكن كان لديهم تحفظات على عملها في نقش شواهد القبور قائلين إن ملازمة فتاة لشواهد القبور طوال

اليوم يعادل المكوث أمام بوابة الجحيم، مما يجعل الحياة مليئة بالكآبة والإحباط، لكن أن شويه أر قالت إن نحتها للشواهد كي تعيل نفسها هو أمر جميل ليس به أي محظورات. ولقد أشفق أن بينغ على ابنته، وفكر أن يجلب لها مساعدًا، لكنها رفضت قائلـة إن باستطاعتها معالجة الأمر وحدها. أما الجدة فطلبت من الحفيدة أن تقضى نهارها في الورشة، وتعود لتقضى الليل في المنزل، وأن لم تفعل فستذهب هي لتبقى معها وترافقها. وهنا ضحكت أن شويه أر وقالت: «لا تقلقي أيتها المطرزة، شويه أر لديها رقة بالفعل.»

كانت أن شويه أر بالغة الأدب مع الكبار في عائلتها فكانت تنادى كل منهم باللقب الواجب عليها استخدامه. أما الجدة فكانت تناديتها «المطرزة»، كما يفعل الجميع، فكانت الجدة دائمًا ما تقول إن حفيدتها تقلل من شأنها جيلا حين تناديهـا بهذا اللقب، وحين قالت أن شويه أر إن للسؤال على رقة عمل يأتي ليرافقها، فقالت أن شويه أر الليل به قمر ونجوم، ولديهم أرجل طويلة، يمكن أن يقفزوا عبر نافذتها ليستلقوا على السادة بجوارها ويصحبوها في نومها، أما لو صادفت ليلة بلا قمر ولا نجوم، فعلى الأقل سيكون هناك بعض الرياح، وعندما تهب يصدر صوت النوافذ فتتحدث معي. فقالت المطرزة ماذا لو لم يكن هناك رياح؟ فقالت أن شويه أر، قلبي ملئـة برياح كثيرة، يمكن أن أبصقها فأحدث نفسي. وهنا لم تجد المطرزة ما تقوله.

وبعد افتتاح الورشة زاد إيمان الناس بأن أن شويه أر قادمة من عالم آخر. فالدخـل الشمالي للقرية يندر فيه وجود البشر، بالإضافة لكونه مجاورًا لنهر جيلاو، لذا فالرياح هناك قوية، والأمطار والثلوج غزيرة. وهناك تكثر أشجار البلوط، تلك الأشجار في ضيف دائم على غابات الشجيرات القصيرة، وهي سوداء قاسية اللحاء ممتلئة بالتعرجات والخطوط، ورغم أنها لا ترتفع كثيرًا إلا أن فروعهـا كثيفة، لذا فهي مظلة جيدة تقى من الحر. وعندما تمر الرياح عبر الغابات تصدر أصواتًا حادة، لذا لا يجرؤ الأطفال محدودو الشجاعة على الاقتراب من الدخـل الشمالي ليلا.

لكن أن شويه أر سكنت هنا، ولم يؤثر عليها ذلك الجو الغريب، بل ظلت عيناها لامعتين، وصارت بشرتها نضرة أكثر من ذي قبل. ومع انتشار سمعتها كمبروكة، صارت ورشتها مشهورة، وجاءها تجار الأحجار من محافظة تشانغتشينغ. فبدأت أن شويه أر في شراء شواهد حجرية مختلفة الألوان باستخدام النقود التي تكسبها، ليختار زبائنـها من بينها، كما اشترت أيضًا ماكينة نقش على الحجر، مما وفر عليها الكثير من الجهد، ومن وقتها كبرت تجارتها. أما نبوءاتها بشأن موعد وفاة الأشخاص فكانت كلها تأتي فجأة بلا ميعاد.

ففي العام الذي افتتحت فيه ورشتها، وذات يوم كانت تنقش فيه شاهد قبر في الفناء، وحين رأت الشمس ساطعة حملت لحافها المصنوع من الحرير الأخضر ونشرته على شجرة بلوط، وفي المساء حين همت بجمعـه اكتشفت أن للحاف الذي تلقى قبـلات من أشعة الشمس بعض بالإضافة إلى رائحة الشمس الجميلة لبعض التجاعيد

وكان هناك بالفعل في قرية لونج تشان رجل يدعى جين تشوان، وكان مدير الكتب الحكومي بالقرية، ومشغول طوال اليوم في أعمال الاستقبال، ومصاحبة الضيوف للأكل والشرب، كان شايًا له بطن بارز ووجه دهني لامع. ولقد علمت أن شويه أر أن طريق حياته قد وصل لنهايته، فسألت عن سنة ميلاده، وعندما سمع جين تشوان أنها سألت عن سنة ميلاده أصابه الربـع حتى وقف شعر جسده، وعلى الفور تقدم بطلب إجازة مرضية وأغلق عليه بابه وعزف عن الخروج أملاً في تجنب المصير المحتوم. إلا أنه بعد ثلاثة أيام أصابته نوبة قلبية مفاجئة أودت بحياته، وفي اللحظات التي كان يتنازع فيها أنفاسه الأخيرة كانت أن شويه أر قد انتهت من نقش شاهد قبره، ولقد أحاطته بشریط مذهب نظرًا لأنه كان دائمًا ما يرتدى سلسلة ذهبية حول رقبته. لقد أزاح موت لاو يانغ وجين تشوان الستار عن موهبة أن شويه أر في التنبؤ بميعاد الموت.

كانت

الرموز

المنقوشة

عليه

مفعمة

بالقوة

والفخامة

وتبدو

كأنها تطير



تشيه تزيه جيان

اكتشفت

أن اللحاف

الذي تلقى

قبـلات

من أشعة

الشمس

يحمل

بالإضافة

إلى رائحة

الشمس

الجميلة

بعض

التجاعيد



لم تعد الترجمة مجرد عملية لنقل الكلمات من لغة إلى أخرى، بل أصبحت جسراً بين ثقافات مختلفة، ووسيلة لصياغة صورة الشعوب لدى القارئ.

وفي حالة اللغة الصينية، تزداد المهمة تعقيداً بسبب خصوصية الثقافة والتاريخ وتعدد المصطلحات التي تحمل دلالات لا تكشفها الترجمة الحرفية.

في هذا الحوار، يتحدث المترجم أيمن طارق عن تجربته في نقل الثقافة الصينية إلى القارئ العربي، والصعوبات التي واجهها في ترجمة المصطلحات والتعابير ذات الخصوصية، ودور المترجم في التعامل مع النصوص السياسية والرسمية، إلى جانب تأثير الذكاء الاصطناعي في صناعة الترجمة، ومستقبل المترجم البشري في ظل التطور المتسارع للتكنولوجيا.

سماح ممدوح حسن

أيمن طارق:

ترجمة الصينية تحتاج إلى فهم السياق والثقافة وليس إتقان اللغة فقط

■ بعد سنوات من التعامل المباشر مع النص الصيني، ما الصورة عن الصين التي اكتشفت أنها تختلف جذرياً عن الصورة الشائعة عنها في العالم العربي؟

– اعتقد أن معرفتنا بالصين في العالم العربي ظلت محدودة إلى حد كبير لعقود طويلة، وهذه المحدودية لم تكن ناتجة عن غياب ما يمكن أن تقدمه الصين، بقدر ما كانت نتيجة لضعف عدد من القنوات التي تصنع صورة الدولة في الخارج. فالصين، رغم قوتها الاقتصادية والسياسية والحضارية، ظلت لفترة طويلة أضعف في مجال القوة الناعمة والإعلام مقارنة بحجم حضورها في المجالات الأخرى.

أضيف إلى ذلك عاملاً مهماً جداً، وهو أن حركة الترجمة من الصينية إلى اللغات الأخرى، ومنها العربية، ظلت راكدة أو محدودة لفترة طويلة، ولم تبدأ في النشاط بصورة ملحوظة إلا في خلال العقدين الماضيين. لذلك لم تكن هناك وفرة من الكتب والأعمال الصينية التي تتيح للقارئ العربي أن يتعرف إلى الصين من خلال أصوات صينية مباشرة، بعيداً عن الوسيط الإعلامي أو السياسي الأجنبي.

اعتقد أن أكبر تغيير حدث لي هو أن الصين التي عرفتها من خلال الترجمة أصبحت أكثر تعقيداً بكثير من الصورة النمطية التي تخزنها في الاقتصاد أو التكنولوجيا أو عدد السكان. عندما نتعامل مع نصوص صينية في مجالات مختلفة نكتشف أن وراء هذه الدولة الكبيرة منظومة فكرية وثقافية وتاريخية شديدة الخصوصية، وأن كثيراً من الظواهر التي تبدو لنا من الخارج بسيطة أو مباشرة، تصبح أكثر قابلية للفهم عندما نقرأها من داخل السياق الصيني.

على سبيل المثال، عندما ترجمت كتاباً عن مكافحة الفقر والتنمية، لم أتعامل معها باعتبارها مجرد نصوص تعرض أرقاماً أو سياسات، بل بدأت لاحظ طريقة التفكير التي تقف خلف هذه السياسات، وكيف ترتبط مفاهيم، مثل التنمية والرفيف والمجتمع والدولة والعمل الجماعي، بفكرة أوسع عن تطور المجتمع الصيني. وكذلك في ترجمة النصوص الثقافية، وجدت أن كثيراً من السلوكيات والمفاهيم اليومية لا يمكن فهمها من خلال المعجم وحده، لأنها مرتبطة بتراكم تاريخي طويل.

ولا أفترض أن عملية الترجمة في حد ذاتها هي الوسيلة التي فهمت الصين من خلالها، فعند ترجمة كل فقرة، أو كل نص، أجد نفسي أمام عدد من الأسئلة والمواضيع التي أهم بالبحث عنها في كل المصادر المتاحة مدقوفاً بالفضول والتطلع إلى معرفة المزيد عن المجتمع الصيني، فالنصوص الأدبية تنير ومضات حول جوانب لم نعرفها من قبل عن الحياة داخل المجتمع الصيني.

كيف يتعامل المترجم مع نص يحمل رؤية سياسية أو تمهوية واضحة؟

– تظل الأمانة في نقل المعنى دون تبني ما يحمله النص من أفكار أو أيديولوجيات عنصراً حاسماً وركناً أساسياً في تقييم المترجم والنص المترجم على حد سواء. ويمكن أن تتجلى فكرة الوعي النقدي لدى المترجم في حقه في اختيار الأعمال التي يترجمها من البداية، وهنا يكون له الحرية في أن ينتقى أعمالاً موضوعية لا تتبنى سردية متحيزة.

ومن المعلوم أن الصين قد قدمت إسهامات كبرى في مجال الحد من الفقر على الصعيدين المحلي والعالمي، وكل ذلك مدعوم ببيانات وإحصاءات موجودة على أرض الواقع، ولو كان الترويج لهذه الإنجازات مضللاً أو منحازاً، لما سارعت دور النشر والمراكز البحثية والجامعات حول العالم في نشر كتب ودوريات علمية وأبحاث حول دورها في هذا الصدد.



وذلك بجانب العادات والأفكار التي كانت وما زالت سائدة فيه، والفكر الفلسفي والرميزات التي تزخر بها الثقافة الصينية. أما النصوص ذات الطابع المعرفي فتسأط الضوء على جوانب أخرى لم تكن نفعها عن الصين، مثل الجانب التنظيمي أو البناء الإداري وغيرها.

■ عندما تصطدم أثناء الترجمة بمفهوم لا يوجد له مقابل عربي دقيق، كيف تقرره؟ هل تنتقل الكلمة كما هي، أم تشرحها، أم تبحث عن أقرب مفهوم عربي حتى لو فقدت شيئاً من خصوصيتها الصينية؟ وأين تضع الحد الفاصل بين الترجمة والتفسير؟

– في الواقع يمثل هذا السؤال تحدياً يمر به أغلب المترجمون بصورة دائمة، خاصة عند التعامل مع لغة وثقافة تحمل طابعاً شديد الخصوصية مثل اللغة الصينية، والواقع أن الصين تمتلك معجماً ثرياً في مختلف المجالات التي لا تقتصر على الجانب الثقافي أو الاجتماعي فحسب، فهناك عدد كبير من المفردات التي تخص الصين في السياسة والاقتصاد وحماية البيئة وغيرها.

الواقع أن التعامل مع مثل هذه المفردات شديدة الخصوصية يحتاج إلى قدر كبير من التريث والتفكير، فضلاً عن الفهم الجيد للداخل الصيني والثقافة الصينية، فالمترجم عليه أن يحافظ على هذا الخط



ليس مطلوباً منه أن يجعل النص العربي نسخة كربونية للنص الصيني كلمة بكلمة، بل مطلوب منه أن يحافظ على ما أراد النص أن يقوله دون إخلال بالمعنى.

لكن هذا لا يعني محو الغرابة الثقافية، فهناك فرق بين إزالة الغرابة غير المفيدة، والحفاظ على الخصوصية الثقافية التي تعطي النص قيمته. فإذا كان المصطلح يعكس خصوصية صينية حقيقية فمن الأفضل أحياناً أن أترك هذه الخصوصية حاضرة وأساعد القارئ على فهمها، بدلاً من أن أستبدلها بمفهوم عربي سهل الفهم لكنه غير دقيق. والواقع أن الكاتب الصيني كان على دراية بهذه الفجوة، ولذلك حرص على شرح كل المفردات التي قد تكون غريبة على القراء الأجانب.

■ هل ترى أن المترجم الصيني اليوم أصبح، من حيث لا يريد، طرفاً في معركة الصورة والرواية؟ وكيف تحافظ على استقلالك كمترجم عندما يكون النص الذي تعمل عليه صادراً عن مؤسسات أو كتاب يرتبطون بالسياق الرسمي الصيني؟

– بالتأكيد، المترجم أصبح جزءاً من عملية تشكيل الصورة، سواء أراد ذلك أم لم يريد. فاللغة التي يصل بها النص إلى القارئ العربي تؤثر في الطريقة التي يفهم بها الصين، واختيار المصطلح والنبذة والأسلوب يمكن أن يغير كثيراً من الانطباع عن النص.

لقد أصبح دور المترجم أكثر حساسية من ذي قبل بالفعل، ومع ذلك هناك اعتبارات أخرى يجب الأخذ بها عند النظر من تلك الزاوية، فعملية إخراج نص مترجم جاهز بين يدي القارئ تمر على عدة مراحل من مراجعة وتحرير وإخراج فني وتصميم غلاف، وبالرغم من أن دور المترجم هو الأهم من بينها، فإن الناشر يظل صاحب الرؤية العامة والقرار عندما يتعلق الأمر باختيار الأعمال التي ستترجم وما الآليات التي ستتبع عند ترجمة العمل وتسويقه وما إلى ذلك.

لكنني أرى أن مسئولية المترجم هنا هي أن يكون أميناً قبل أن يكون منحازاً. عندما أترجم نصاً صادراً عن مؤسسة صينية أو كاتب يتحرك داخل السياق الرسمي، فمهمتي هي أن أنقل رؤية صاحب النص كما هي، لا أن أضيف إليها تأليفاً ولا اعتراضاً من عندي.

وفي الوقت ذاته، لا تعني الأمانة أن أتبنى ما يقوله النص. هناك فرق كبير بين أن أترجم خطاباً سياسياً، وبين أن تبني الخطاب السياسي. المترجم الجيد يستطيع أن ينقل الرواية بأمانة كاملة مع احتفاظه بوعيه النقدي خارج النص.

■ الصينية من أكثر اللغات التي تبدو فيها المسافة بين «المعنى الحرفي» و«المعنى المقصود» واسعة.. ما أصعب موقف ترجمة واجهته وشعرت فيه بأن المعرفة باللغة وحدها لا تكفي، وأن عليك أن تفهم عقلية المتحدث الصيني وسياقه التاريخي والاجتماعي حتى تستطيع نقل جملة واحدة؟

– أصعب المواقف بالنسبة لي هي تلك التي تكون فيها الجملة صحيحة لغوياً، لكن ترجمتها الحرفية تكون خاطئة وظيفياً. ويحدث ذلك كثيراً مع التعابير الاصطلاحية والأمثال وبعض المصطلحات التي تبدو واضحة من مكوناتها، بينما المقصود منها مختلف تماماً. في هذه الحالات، لو اكتفيت بمستوى اللغوي، فقد أنقل الكلمات بشكل صحيح، لكنني أقفل في نقل الرسالة.

هنا تظهر أهمية ما يمكن تسميته «المعرفة الخلفية». أحياناً أحتاج إلى معرفة أصل التعبير، أو المناسبة التي يُستخدم فيها، أو ما إذا كان يحمل نبرة ساخرة أو رسمية أو مجاملة أو تلميحية سياسياً أو تاريخياً.

ومن المواقف التي استوقفتني لوقت طويل أثناء ترجمتي أحد المصطلحات المتعلقة بالثقافة الصينية وهو حجر كريم يسمى «اليشم»، إلا أن المشكلة تكمن في أن المصطلح قد تكرر لأكثر من مرة في النص في سياقات مختلفة، وحينها وجدت أن الكلمة تحمل مدلولاً آخر وهو الإله «اليشم» الذي اعتبر رمزاً مقدساً في الصين القديمة، ولعل أكثر ما أزعجني هو الاستخدام المزدوج لهذا المصطلح في العمل بأكمله.

■ في وقت يستطيع فيه «الذكاء الاصطناعي» أن يترجم الصينية إلى العربية خلال ثوان، ما الذي يبقى للمترجم البشري ولا تستطيع الآلة أن تقوم به؟ وهل تعتقد أن مستقبل الترجمة سيكون في منافسة الإنسان للآلة؟

– بالطبع هذا حديث الساعة، فاليوم لا يسعنا إنكار ما أحدثه «الذكاء الاصطناعي» من تغييرات كبرى في كل المجالات وليست الترجمة فحسب، ويمكن القول إن سير العمل في مجال الترجمة بفروعه المتشعبة اليوم قد تغير بشكل جذري عما سبق، فقد صار كل شيء أسرع وأقل استهلاكاً للوقت والجهد، وهو الأمر الذي حفز الزيادة الضخمة التي شهدتها صناعة الترجمة من حيث حجم العمل في السنوات الأخيرة.

ومع ذلك، لا يمكن إختزال هذا التغيير في نمط واحد، فإن تطبيقات «الذكاء الاصطناعي» في صناعة الترجمة تختلف باختلاف نوع النص وطبيعته المشروع، فهناك نصوص باتت لا تتطلب من المترجم سوى المراجعة والتأكد من جودتها، وتلك تكون في الأغلب تكون نصوصاً عامة أو أعمال روتينية تترجم بصفة متكررة. على الجهة الأخرى هناك ترجمات ذات طبيعة خاصة روح النص ومعناه الأصلي ولسته الجمالية، وغالباً ما تكون نصوصاً أدبية كالأرواية والقصة القصيرة والقصائد الشعرية والمحتوى المرئي، ويكون دور «الذكاء الاصطناعي» في ترجمة هذه النصوص محدوداً للغاية. ويتقصر فيها دور «الذكاء الاصطناعي» في أحيان كثيرة على البحث وجمع المصطلحات وأرشفتها.

الدقيق الذي يوازن بين الحفاظ على روح النص ومضمونه، والحفاظ على النبذة الطبيعية للنص المترجم في اللغة العربية، ومن المعروف أن الترجمة الجيدة هي التي تجعل القارئ يشعر بأنه لا يقرأ نصاً مترجماً.

على سبيل المثال، هناك سياسة تتبناها الصين وهي «الدعم الموجه للقراء»، فعند التعامل مع مصطلح كهذا لن تكون مجرد ترجمته وافية من حيث إيصال المعنى للقارئ العربي، ولذلك قد يحتاج إلى المزيد من الشرح أو التفسير، الأمر ذاته مع مصطلح «الذنب المحارب»، وهو المسار الدبلوماسي الذي تنتهجه الصين مع دول الغرب. ويمكن أن نقول إن هناك العشرات من المصطلحات في شتى المجالات تمتلك نفس الطبيعة الخاصة. وعند التعامل مع النصوص الأدبية تزداد المسألة تعقيداً، فالصين شديدة الحرص على نقل ثقافتها وتراثها غير المادي إلى دول العالم دون إخلال أو تحريف، ومع ذلك يظل المعجم الثقافي الصيني الذي تتميز به الصين زاخراً بمئات من المصطلحات والمفردات شديدة الخصوصية والتعقيد، ما يجعل هناك مسئولية كبيرة على ناقل المترجم.

عند التعامل مع مثل تلك النصوص، تنحصر الخيارات أمام المترجم في أن يترجم المصطلح صوتياً، ويشرحه في حاشية سفلية، وهذا النهج هو المتبع في أغلب الأحيان، أو أن يترجم المعنى حرفياً إذا وجد له مقابل في اللغة العربية.

■ من خلال ترجمتك كتاب «الثقافة الصينية A-Z»، تعاملت مع أكثر من ٨٠٠ مصطلح ثقافي، وهذا يضع المترجم أمام مشكلة أكبر من اللغة، كيف تنتقل ثقافة كاملة إلى قارئ ينتمي إلى منظومة تاريخية واجتماعية مختلفة؟

– ترجمة عمل «الثقافة الصينية A-Z» تجربة مهمة جداً؛ لأن التعامل مع أكثر من ٨٠٠ مصطلح ثقافي يجعلك تدرك أن المشكلة ليست في معرفة اللغة

الصينية فقط، وإنما في معرفة ما وراء اللغة. هناك مصطلحات تبدو شديدة البساطة، لكن عندما تبحث في أصلها واستخدامها تجد وراءها تاريخاً أو حكاية أو معتقداً أو عادة اجتماعية. وفي هذه الحالات لا تكفي الترجمة الحرفية، لأنك قد تنقل البنى اللغوي وتفقد المعنى الثقافي بالكامل.

■ هل يمكن للمترجم أن يكون أميناً للنص إلى درجة يجعله غريباً على القارئ، أم أن عليه أحياناً أن «يخون» النص قليلاً حتى يكون أميناً لمعناه؟

– فكرة «خيانة» النص أنا أفضل أن أسميها أحياناً «الابتعاد عن الحرفية من أجل الوفاء للمعنى»، فالمترجم

«الدعم الموجه للقراء» و«الذنب المحارب» نماذج لمصطلحات يصعب نقلها حرفياً

المصطلحات الصينية الخاصة تفرض علينا اللجوء للشرح والهوامش

على المترجم الموازنة بين روح النص وطبيعية اللغة العربية



طريق الصين للحد من الفقر

تأليف: وو قوه باو

ترجمة: أيمن طارق محمد

المتزايد للعلاقات الصينية الإفريقية بدأت الدول الغربية تشير بين الحين والآخر الأقاويل والشائعات، مثل: «نظرية الاستعمار الجديد»، والصراع على الموارد، وفخ الديون، وغيرها، وذلك بهدف يهدف الإساءة إلى العلاقات الصينية الإفريقية. وعلى خلفية ذلك، فإن تعزيز الأوساط البحثية والأكاديمية للأبحاث حول إفريقيا والعلاقات الصينية الإفريقية، وتقديم نتائج تلك الأبحاث في الوقت المناسب، وكذا رفع قوة الحوار الدولي للصين، وعرض النتائج المثمرة للتعاون العملي بين الصين وإفريقيا والعمل على عكس التطور الجيد للعلاقات الصينية الإفريقية بشكل موضوعي وإيجابي، ونقل صوت الصين إلى العالم، صار أمراً ملحاً وضرورياً.

وقد استرشدت الأكاديمية الصينية للعلوم الاجتماعية بفكر الاشتراكية ذات الخصائص الصينية الذي انتهجه شى جين بينج في البناء الجاد

مارس، وفي يوليو ٢٠١٨ اختار شى جين بينج إفريقيا لتكون أول وجهة لزياراته بعد إعادة انتخابه لتولى الحكم، وقد زار شى جين بينج إفريقيا أربع مرات في خلال الست سنوات الماضية، حيث زار ثمانى دول- من ضمنها تنزانيا وجنوب إفريقيا والسنغال- مظهرًا بذلك للعالم مدى تقديره روابط الصداقة الوطيدة بين الصين وإفريقيا وكذا اهتمامه البالغ بالعلاقات بينهما.

وفي عام ٢٠١٨ انعقدت قمة منتدى التعاون الصينى الإفريقى بالصين بنجاح، حيث عرض شى جين بينج في خلال تلك القمة السمات الجوهرية للتعاون والتضامن الصينى الإفريقى، ووضع الطريق للمضى نحو تنمية العلاقات الصينية الإفريقية، ووضع خطة محددة لتحقيق التنمية المشتركة بين الصين وإفريقيا، كما حسن الإطار النظرى والمنهج الفكرى الذى تنتهجه لسياسات الصين نحو إفريقيا، ليصير هذا إنجازاً مهماً فى الابتكار النظرى

للدبلوماسية الاشتراكية الخاصة بالصين فى عصر شى جين بينج الجديد، حيث قدم المبادئ السياسية والإرشادات العملية لتنمية العلاقات الصينية الإفريقية. ويمثل هذا الاجتماع محطة مهمة فى تاريخ تطوير العلاقات الصينية الإفريقية.

وقد أثارت العلاقات الصينية الإفريقية قلق المجتمع الدولى وذلك تزامناً مع التطور المتزايد للتعاون الصينى الإفريقى، ومع تصاعد عدم الارتياح تجاه التأثير

فضلاً عن تصاعد التيار الأحادى والحمائية التجارية. تُعد الصين أكبر دولة نامية فى العالم، وهى من المؤسسين والمساهمين والمدافعين عن قضايا السلام والتنمية الإنسانية. فى ١٧ أكتوبر ٢٠١٧ عُقدت الدورة التاسعة عشرة للحزب الشيوعى بنجاح، حيث أرشد ذلك التنمية فى الصين لتخطو إلى مسيرة جديدة وعظيمة.

واسترشاداً بفكر الاشتراكية ذات الخصائص الصينية فى العصر الجديد لشى جين بينج يعمل الصينيون جاهدين على تحقيق «الهدفين المئويين» والنهضة العظمى للأمة الصينية، كما يستمرون فى بذل جهود حثيثة لتحقيق إسهامات بشكل أكبر من أجل البشرية. تعد إفريقيا القارة التى تضم أكبر عدد من الدول النامية فى العالم، وهى قوة أساسية داعمة للسلام العالمى والتنمية الشاملة.

وقد حققت إفريقيا فى السنوات الأخيرة تقدماً ملحوظاً فى تحقيق التنمية المستدامة بشكل مستقل والانتقال إلى طريق الاتحاد والتقدم الذاتى، لتتحول إفريقيا التى لطالما رآها الغرب أنها «القارة عديمة الأمل»، إلى «القارة المفعمة بالأمل»، لتصير بذلك «الأسد المنطلق». وتسعى دول إفريقيا جاهدة لاكتشاف طرق التنمية التى تتناسب مع ظروفها المحلية، حيث تعمل شعوب إفريقيا جاهدة لتحقيق «رؤية إفريقيا ٢٠٦٣»، و«الحلم الإفريقى»، بالسلام والازدهار.

لقد امتدت جذور الصداقة التاريخية بين الصين وإفريقيا عبر مختلف الأزمنة وحتى وقتنا الحالى، حيث ربط بينهما الصبر المشترك عبر العصور. وتولى الصين اهتماماً بالغاً بتنمية العلاقات مع قارة إفريقيا، حيث اختار شى جين بينج إفريقيا كوجهة أولى لزياراته الخارجية له بعد توليه رئاسة البلاد فى



إن الحد من الفقر والتخلص منه هو هدف تنموى تشترك فيه البشرية جمعاء، ويُعد أيضاً مشكلة ذات طابع عالمى. لقد بذلت الصين جهوداً حثيثة فى الحد من الفقر منذ تطبيق سياسات الإصلاح والانفتاح فى مسيرة تمتد لأكثر من ٤٠ عاماً، حيث تغلبت فى خضمها على العديد من العقبات وحقت إنجازات كبرى نالت بها اعترافاً عالمى المدى، مما مكن مئات الملايين من المزارعين والقرويين من الخروج من دائرة الفقر وتحقيق حياة رغدة لأنفسهم.

إن جهود الصين للحد من الفقر تمثل مكوناً أساسياً فى طريق الصين وخبراتها ونموذجها التنموى، بل إنها بمثابة نموذج تسترشد به المجتمعات البشرية فى العمل على الحد من الفقر.

تمر جهود الصين للحد من الفقر بمرحلة حاسمة فى تحقيق مزيد من التقدم، حيث تعهدت الحكومة الصينية رسمياً بأنها ستخلص من الفقر بحلول عام ٢٠٢٠ وفقاً للمعايير الحالية، وقد وصل المعدل السنوى للحد من الفقر إلى أكثر من ١٠ ملايين نسمة فى الفترة ما بين عامى ٢٠١٦ و٢٠٢٠.

يواجه العالم الآن تحولات درامية لم يشهدها أحد منذ مئات السنين. وقد صارت التنمية الشاملة للمتعديدية القطبية والعولمة الاقتصادية ومجتمع المعلومات والتنوع الثقافى وكذا السلام والتنمية والتعاون والكسب المشترك مطالب تتشارك فيها كل المجتمعات البشرية، كما صار بناء مجتمع ذى مصير مشترك للإنسانية حلاً تتشارك فيه كل شعوب العالم. ومع ذلك يواجه البشر العديد من التحديات المشتركة التى تتمثل فى الصراعات المحتدمة بين الدول الكبرى والنزاعات الإقليمية المستمرة والإرهاب وعدم التوازن فى مستويات التنمية والتغيرات المناخية المتطرفة،



وو قوه باو

سعت
 الصين
 لاستصلاح
 الأراضي
 الزراعية
 فى كل
 أنحاء
 البلاد

عانت
 القرى
 الصينية
 من الفقر
 بشكل
 واسع فى
 بدايات
 فترة
 تأسيس
 الجمهورية
 الصينية



ومن أجل تغيير هذا الوضع، صار التخفيف من حدة الفقر من المجالات ذات الأولوية فى النظام الحكومى وترتيب السياسات، كما أتخذت سلسلة من الإجراءات التى تهدف إلى تقليص الضجوة فى امتلاك الموارد والدخل تتمثل فى استصلاح الأراضي وتعميم التعاونيات وتعميم الكومونات. وعلى الرغم من عدم ظهور أى خطة للحد من الفقر على السطح قبل فترة الإصلاح والانفتاح بالصين، فقد كانت هناك العديد من الترتيبات المؤسسية والسياسات والخطط التى تتمحور بشكل مباشر أو غير مباشر حول التخفيف أو الحد من ظواهر الفقر والانقسام الاجتماعى التى وُجدت على نطاق واسع.

ومنذ عام ١٩٤٩ حتى فترة ما قبل الإصلاح والانفتاح اتخذت الحكومة الصينية التدابير المهمة التالية للتخفيف من حدة الفقر فى الريف، «أ» كانت هناك جهود لزيادة وتحسين حقوق ملكية واستخدام المزارعين للأراضي «الموارد الطبيعية» فى عام ١٩٤٩ قبل تأسيس جمهورية الصين الشعبية، حيث كانت حيازة الأراضي فى المناطق الريفية فى الصين متفاوتة بشكل كبير. وفقاً للتقديرات فإن الأراضي الزراعية التى كانت تعود إلى ملاك الأراضي الذين يمثلون ٤٪ من القرويين قد بلغت ٥٠٪، أما الأراضي الزراعية التى تعود إلى المزارعين الفقراء الذين يمثلون ٧٠٪ من القرويين قد بلغت ١٧٪.

وبعد عام ١٩٤٩، سعت الصين لاستصلاح الأراضي الزراعية فى كل أنحاء البلاد، وسحبت الأراضي التى يمتلكها ملاك الأطنيان دون إعطاء تعويضات وتوزيعها على عدد كبير من القرويين الفقراء الذين لا يملكون أراضى زراعية أو يملكونها بشكل محدود. لقد مكن الإصلاح الزراعى القرويين من الحصول على حق طبقات الريف فى الصين بشكل جذرى، كما قضى عملياً على التأثير الناجم عن انعدام ملكية الأرض، وهو عامل رئيسى للفقر الريفى فى البلدان النامية الأخرى، وقد وضع ذلك أساساً ملائماً لنظام الملكية من أجل أعمال الحد من الفقر فى قرى وريف الصين. ومنذ بداية خمسينيات القرن العشرين تحولت ملكية المزارعين للأراضي الزراعية إلى ملكية التعاونيات الزراعية، ثم تحولت فيما بعد إلى نظام الملكية الثلاثى فى فترة التعاونيات الشعبية. وعلى الرغم من التغييرات العديدة التى طرأت على السيطرة والإدارة وحقوق الدخل المرتبطة بالأراضي التى يمتلكها المزارعون فى المناطق الريفية تحول علاقات الإنتاج فى الريف، فإن المزارعين لا يزالون مالكن مشتركين فى الأرض التى تملكها الجماعات التى ينتمون إليها من الناحية القانونية.

ب، تحسين البنية التحتية بالريف والقرى نفذت الحكومة الصينية بنجاح مشروعات بنية تحتية كبيرة فى المناطق الريفية على مستوى البلاد حتى الفترة من خمسينيات القرن العشرين وحتى سبعينياته، وفى تلك الفترة شهدت البنية التحتية لريف وشبكات المياه الزراعية العديد من التحسينات، وأضيفت نحو تسعة أضعاف المسافات التى تم توصيلها بالطرق العامة عبر البلاد، كما زادت مساحة الأرياء الروية بنسبة ١٢٥٪، وذلك من خلال السيطرة الفعالة على الموارد والاستفادة من مزاياء استغلال الأراضي الزراعية التى تملكها الجماعات وكذا الأيدى العاملة، والذي يعتمد على مبدأ «الملكية الثلاثية والارتكاز على الجماعات الزراعية».

من الجوانب فى قارة إفريقيا والتي يتناولها الباحثون والمتخصصون الصينيون مثل التنمية السياسية والاقتصادية والأمنية والاجتماعية، بالإضافة إلى الأبحاث الأكاديمية المتكررة حول العلاقات الدولية ببقارة إفريقيا، ويتميز بنتائج البحثية التى تمتاز بالتغطية الواسعة والجهرية والمنهجية والرمزية، السلسلة «الحولية» هى مجموعة من الوثائق المتتالية التى تنشر بشكل منتظم، وتتضمن أقساماً، مثل: «الوثائق المهمة»، والمواضيع الساخنة، والمقالات التخصصية، والمخصصات البحثية، ومختارات الكتب الجديدة، ومقدمة مختصرة عن المجلات الأكاديمية، والمؤسسات الأكاديمية، والأحداث الأكاديمية الأخيرة، والإحصاءات، وأبرز الأحداث السنوية، حيث تجمع بشكل منهجي كل ما هو جديد فى الدراسات الإفريقية من وجهات نظر وديناميات وإنجازات جديدة فى كل عام.

وتنتطلع إلى استغلال تأسيس المعهد الصينى لدراسات إفريقيا كنقطة بداية جديدة للدراسات الصينية عن إفريقيا والدراسات الإفريقية عن الصين، وأن تكثف الطاقات البحثية والأكاديمية فى الداخل، وتندج مع العلماء والمتخصصين من كل دول إفريقيا، ونمضى قدماً ساعين إلى الابتكار والاستمرار فى دعم الدراسات الصينية عن إفريقيا والدراسات الإفريقية عن الصين وكذا الدراسات المتعلقة بالعلاقات الصينية الإفريقية، ومن ثم نتكمن من خدمة البناء المشترك لبناء مبادرة «الحزام والطريق»، ودعم التنمية الشاملة والانفتاح فى سبعينيات القرن العشرين، سعت الحكومة الصينية- فى خضم مسيرتها نحو التنمية الاقتصادية والاجتماعية- للحد من الفقر الموجه نحو التنمية بصورة منظمة ومخططة وشاملة وعلى نطاق واسع منذ ثمانينيات القرن العشرين، وقد نفذت خطط طويلة ومتوسطة الأجل لمكافحة الفقر فى الصين، مثل: «الخطة الشاملة للحد من الفقر فى الفترة من ١٩٩٤ إلى ٢٠٠٠»، و«الخطة الرئيسية للحد من الفقر فى المناطق الريفية فى الصين فى الفترة من ٢٠٠١ إلى ٢٠١٠»، و«الخطة الرئيسية للحد من الفقر فى المناطق الريفية فى الصين فى الفترة من ٢٠١١ إلى ٢٠٢٠»، مما أسهم بشكل فعال فى تعزيز عملية مكافحة الفقر وتنمية المناطق الريفية فى الصين.

أنزلت اللجنة المركزية للحزب الشيوعى، منذ المؤتمر الوطنى الثامن عشر للحزب الشيوعى، مسألة الحد من الفقر منزلة كبيرة فى حوكمة الدولة، بل وبواتها مكانة عليا جديدة كعنصر أساسى فى البناء المتكامل للمجتمع الرغيد، وتحقيق هدف المئة العام، وأدرجتها فى «الخطة المتكاملة ذات الخمسة أضلع» و«الاستراتيجية الشاملة ذات المحاور الأربعة»، حيث ضمنت فى القرارات والخطط الاستراتيجية للحكومة الصينية، كما سعت لطرز البرامج الأساسية الموجبة إلى الدعم الدقيق للفقراء واستهداف تخليصهم من الفقر، ودفع جهود الحد من الفقر بالصين إلى مرحلة جديدة.

عانت القرى الصينية من الفقر بشكل واسع فى بدايات فترة تأسيس الجمهورية الصينية، وذلك كان نتيجة لعدة عوامل، منها: الدمار والخراب الذى سببته الحروب على فترات طويلة، وتركز الأراضي الزراعية، والذي أدى بدوره إلى عدم امتلاك المزارعين للأراضي الزراعية أو امتلاكهم جزءاً بسيطاً منها.

الثالثة هى تفعيل دور الكوادر، وتدريب الكوادر المهنية ذات القدرات العليا. ويتمثل ذلك فى تطوير التعليم الأكاديمى، وإجراء زيارات تبادلية بين العلماء فى الصين وإفريقيا، تدريب المتخصصين الشباب ودعم العلماء الباحثين ودراسات الكوادر المهنية أصحاب دوى القدرات العليا. الوظيفة الرابعة تتمثل فى تفعيل دور نوافذ النشر والاتصال ورواية قصص عن الصداقة بين الصين وإفريقيا. ويتمثل ذلك فى إنشاء حساب عام للمعهد الصينى للدراسات الإفريقية على تطبيق الويتشات «WE CHAT»، وإنشاء موقع إلكترونى باللغة الصينية والإنجليزية للمعهد، فضلاً عن إصدار «مجلة الدراسات الصينية الإفريقية» بلغات عدة.

وقد أنشأ المعهد الصينى لدراسات إفريقيا «مكتبة المعهد الصينى لدراسات إفريقيا» مستهدفاً الأوساط العلمية فى الصين وإفريقيا والانفتاح على العالم، وذلك من أجل التنفيذ الشامل لجوهر رسالة التهيئة المبعوثة من شى جين بينج الأمين العام للحزب الشيوعى، بالإضافة إلى جمع الموارد العلمية والأكاديمية بصورة أفضل، وتوحيد الباحثين المتعلقة بالدراسات الإفريقية والأبحاث حول العلاقات الصينية الإفريقية والاختارة من قبل هيئة تحرير مكونة من مديرى الجهات المعنية ونخبية من العلماء والخبراء، وتُنشر تلك الأعمال بشكل موحد فى ستة أقسام رئيسية: قسم الأعمال العلمية، والمعنى بنتائج الدراسات الأكاديمية المنهجية والدراسات المقترية مثل دعم التطوير الأكاديمى وتقديم الاقتراحات، وطرح المشكلات المتعلقة بالتنمية فى إفريقيا وطرق التنمية والتعاون الصينى الإفريقى، قسم «الأعمال المترجمة»، والذي يكمن دوره الرئيسى فى ترجمة الكتابات العلمية المعنية بدراسة المشاكل والقضايا إفريقية والتي تعود إلى أكاديميين وأفارقة وأجانب إلى الصينية ومن ثم نشرها، ويهتم هذا القسم بشكل خاص بعرض المستوى العلمى للأكاديميين الأفارقة، وذلك بجانب أرائهم العلمية ومعارفهم حول مشكلات التنمية، قسم «الترجمة القانونية»، والمتخصص فى ترجمة ونشر القوانين والتشريعات الأساسية بدول قارة إفريقيا، مثل: قوانين الاستثمار والتعدين وإنشاء وحماية البيئة والعمل والضرائب والجمارك والأراضي والمال والأحكام وغيرها، وذلك بجانب ترجمة الوثائق القانونية للمنظمات الإفريقية الفارية والإقليمية والفريقية، قسم «تقارير مراكز الأبحاث» الذى يركز على العلاقات الصينية الإفريقية بشكل علمى، ويتمحور دوره حول تناول مجالات التعاون الصينى الإفريقى فى كل المجالات وكذا علاقات التعاون الثنائى والعلاقات التبادلية للصين مع الجهات الدولية الفاعلة فى قارة إفريقيا، كما يعمل على العرض الموضوعى والدقيق لواقع التعاون الصينى الإفريقى، ويقدم الإجراءات اللازمة لتطوير العلاقات الصينية الإفريقية بصورة سلسة فى العصر الجديد، قسم المقالات البحثية، الذى يتمحور حول التغيرات الجديدة على الساحة الدولية، ودخول الاشتراكية ذات الخصائص الصينية إلى العصر الجديد.

ويعمل أيضاً على تجميع القضايا المهمة للعديد

لجبهة تدعم النظريات الماركسية، وتفعيل دورها فى خدمة سياسات الدولة والحزب، والعمل جهد على تحقيق إسهامات جديدة أكبر بهدف بناء نظام فلسفى واجتماعى وعلمى ذى طابع صينى وكذا نظام أكاديمى ونظام للخطاب، وذلك بجانب التعميم الدائم للتأثير الدولى للفلسفة والعلوم الاجتماعية ذات الخصائص الصينية. ومعهد دراسات غرب آسيا وإفريقيا بالأكاديمية الصينية للعلوم الاجتماعية هو مؤسسة بحثية إقليمية تأسست استجابة لتوجهيات الزعيم الراحل ماو تسى دونج، والذي يكرس كل جهوده منذ فترة طويلة لبحث ودراسة مشاكل وتحديات قارة إفريقيا فضلاً عن العلاقات الصينية الإفريقية، وإجراء الدراسات الأساسية والتطبيقية على حد سواء، ونشر وإصدار عدد كبير من الأبحاث والرسائل العلمية، التى أخذ تأثيرها فى الانتشار والتوسع داخل وخارج البلاد. وتأسس معهد الصين للدراسات الإفريقية فى أبريل ٢٠١٩ أسوة بمعهد دراسات غرب آسيا وإفريقيا، وهى المبادرة المهمة التى أعلن عنها الأمين العام للحزب الشيوعى شى جين بينج فى قمة منتدى التعاون الصينى الإفريقى ببيكين لتعزيز التبادل الثقافى بين الصين وإفريقيا.

ووفقاً لنحوى رسالة تهيئة الأمين العام للحزب الشيوعى الصينى شى جين بينج بمناسبة تأسيس المعهد الصينى للدراسات الإفريقية، فإن الأهداف الرئيسية للمعهد تتمثل فى: جمع المواد البحثية والأكاديمية بالصين وإفريقيا، وتعميق المنفعة الحضارية المتبادلة بينهما، وكذا تعزيز الحكومة وتبادل خبرات التنمية، بالإضافة إلى الاستفادة من الخبرات المشتركة وتقديم المقترحات لدعم التعاون والتفاهم المتبادل والصداقة بين شعوب الصين وإفريقيا وباقى الأطراف، والدعم المشترك لمبادرة «الحزام والطريق»، والبناء المشترك لعلاقة شراكة استراتيجية تتطلع نحو المستقبل، والعمل المشترك على بناء أكثر تماسكاً بين الصين وإفريقيا، وتقديم الدعم الفكرى ودعم الكوادر بهدف تعزيز التعاون فى إطار مبادرة «الحزام والطريق».

وتتمثل وظائف المعهد الصينى للدراسات الإفريقية فى أربع نقاط أساسية: الأولى هى تفعيل دور منصات التبادل، وتعزيز التبادلات العلمية والأكاديمية بين الصين وإفريقيا. وتنظيم «منتدى إفريقيا» و«منتدى الصين» و«منتدى السفراء»، وإطلاق «مؤتمر الحوار الحضارى الصينى الإفريقى»، وتفعيل «لية تبادل الحكومة بين الصين وإفريقيا» وآلية التبادل للتنمية المستدامة بين الصين وإفريقيا» وآلية التبادل للبناء المشترك لمبادرة الحزام والطريق».

أما الوظيفة الثانية فتتمثل فى تفعيل دور القواعد البحثية والتركيز على البناء المشترك لمبادرة «الحزام والطريق». ويتمثل ذلك فى إجراء الدراسات المشتركة بين الصين وإفريقيا. وإجراء الدراسات الاستقصائية حول المشاكل الكبرى والقضايا الحساسة التى تحظى باهتمام مشترك من إفريقيا والصين ونشر تلك الدراسات وإعلان نتائجها بشكل منتظم. والوظيفة



نفذت الحكومة الصينية بنجاح مشروعات
 بنية تحتية كبيرة فى المناطق الريفية



نضال ممدوح

می عاشور:

كلما اقتربت من الصين اكتشفت أرضًا مشتركة مع مصر

■ بحكم احتكاكك بالثقافة الصينية، كيف تغيرت رؤيتك اليها؟ وما أبرز أوجه التشابه والاختلاف بينها وبين الثقافة المصرية؟

يستوفضني كما أن الشرير مختلف ومثل في التوفيق
نفسه، أبرز أراضه شجرة كما خلوط صوبه، بل في التفرع
فيه أوجه الشارح صورته النمطية، والتي لا تظهر
كذلك دائماً بالملاحظة، بل تتواضع بقوة كما فهمت أن
تنتهي إلى... هذا مفهومي للتشابه بين مصر والوصين،
نحن ننتمي إلى الشرق، وهذا الشرق له حضارة وتاريخ
متمثل ملاحة وثقافته وحضارته القمودة، يتجلى هذا
في المعتدلات القافية، والعلاقات والتقاليد، وتقديس
الأعياد ومدى أهميتها، والعلاقات الأسرية، والقيم
الإنسانية، ونظرة الإنسان للدين وتعامله مع الأمور.
في مايو الماضي ذهبت إلى متحف التراث الثقافي
في الغامدي في مدينة جواتج - وهذا كان تفتت التراث
وجود العديد من الأبنية الفنية التي تنتمي إلى التراث
الثقافي غير المادي، وهذا التراث الثقافي الغنى موجود
أيضاً في مصر، لا أقصد من حيث التشابه، بل المخزون
الثقافي والوفاي

كتب المصريون القدماء على ورق البردي ودونوا على جدران المعابد، وكتب الصينيون قبل اختراع الورق على «الجانادو»، والتي تشير إلى شرائح من الخشب الخيزران استخدمها الصينيون قديماً فى الكتابة والادوين. والشرائح الرفيعة والطويلة منها تسمى «جيان»، أما العريضة والأكثر سمكاً تسمى «دو». وعادة ما كانت تُجمع الشرائح وتُرَبط معاً بحبل أو خيوط حريرية، لتصبح مصفوفة مثل قطعة من الورق الطويل المفلوف.

كانت صناعة شرائح الخشب والخيزران تمر عدة
بعدة مراحل، بداية من التحضير، مروراً بالتقطيع
والصقل والتجفيف على النار. ويكون التجفيف خاصاً
بالخيزران، لأنه يحتوي على نسبة من السوائل، وبالتالي
يجب أن يمر بهذه المرحلة أولاً، قبل الكتابة عليه.

استُخدمت شرائح الخيزران والخشب في توثيق السجلات والكتب القديمة والوثائق والأوراق الرسمية، وبذلك لعبت دوراً مهماً في تسجيل مسيرة الحضارة الصينية، فمن خلالها يمكن القراءة عن فترات مختلفة من تاريخ الصين، بل والتعرف على العديد من تفاصيل الحياة الاجتماعية والسياسية وغيرها.

■ هل هناك ملامح أخرى لهذا التشابه؟

منذ ما قبل هزمت إلى مدينة دون خواجه في مقاطعة جيان، ومن هناك ذهب إلى الكهوف، حيث يعود تاريخها إلى ١١٠٠ سنة، فلم تختلف عن الصور التي رأيتها من قبل. لكنني اختلف الأمر تماماً عندما دخلت إليها.

زينا الكهوف في مجموعات بصرية مرئية ساحية خاصة بالكان، كانت من داخلها ممتدة جداً، وكان لها داخلها وانتهار خارجها، وكما تأتت الرمشة إلى الجدران أو السقف بالقمم الصغير إلى شيشه المصباح اليدوي، توجت الجدران بألوان نابضة بالحياة، ورسوم ضخمة وأخرى دقيقة التفاصيل تستدعي التامل.

ولم تطل مدة إقامتي.

لا يوجد مجال للفراغ على حدّان الكهوف التي تروى

هل أصبحت الاختلافات بين المصريين والصينيين أكثر وضوحًا بالنسبة إليك؟

بالنسبة لـ، الصين ولغتها وأدبها وثقافتها ليست مجال تخصصي وحسب، لكنها أيضًا تجربة شخصية، أطّو صوبها باستمرار، وأدونها. ما زالت هناك العديد من الأشياء، يمكنني أن أتعلّمها واكتشفها وأشارك مع القارئ العرب. فأنا أنقل الأدب الصيني، ولكنني أيضًا أكتب عن حكايات مع الصين.



الصين؟ وما الصورة التي وجدتتها لدى الصينيين عن مصر في المقابل؟ وهل

زالت أسيرة بعض الصور النمطية؟

- لا يمكننى التعميم أو الرد على هذا السؤال ببساطة. رأيى أن هناك العديد من العوامل تدخل فى تكوين تصورات الإنسان عن الآخر، وأبسطها المسافات البعيدة والرقعة الجغرافية. قد تكون هذه التصورات حقيقية أو وهمية. لكن ما يحسمها فى النهاية هو التواصل المباشر، والانفتاح على الآخر، والتقرب خطوات إليه بنيتى

الطرق.

أجزم أن كل الصور النمطية تتكسر أمام زيارة واحدة إلى مصر أو الصين. يرى المصري الصين المعاصرة فتتلاشى الأفكار والصور النمطية التي يسمع عنها. وكذلك يأتي الصيني إلى مصر فتتبخثر كل الصور التي

تختزل مصر في الأهرامات وأبو الهول، بل ويرى العديد من التفاصيل التي تكشفها له تجربته أثناء الزيارة.

■ إلى أي مدى يتشابه المصريون
والصينيون في علاقتهم بالأسرة
والمجتمع والعمل والقيم الانسانية،

دغم اختلاف اللغة والعادات؟

لو تحولت في أسوان وذهبت إلى المعابد هناك، سترى آثار الحضارة الفرعونية، ولعل مقببت في سوانق القاهرة القديمة وأبقنتا شتتةر بآنك تقرب ضفحتا متفرقة من التاريخ؛ فهذه الجوامع أمكنة القديمة والحرث اليبودية والمقاهى الشعبية، والكرم الذى يفيض فى سوانق مصر، فغيرها من أشياء منبهة، لو يخلق صدقة، قبل لو امتداد لمورث حضارى كبير متصل وثرى، وتقدير لوجود نطاسة مختلفة لعلاقة الإنسان مع الحياة، نفس الشرى فى الصين هناك حضارة نتج عنها الحضارة بتفاضيله، وانعكست فى صونا كثيرة ملموسة، وتحتل أعمال واجتهاد متفكر للئات الشرى.

من الطبيعي أن تلقى الحضارات عن نقاط بعينها، وهذا سبق وذكرته. ويشابه الصينيون والصصريون في العديد من النقاط: يهتمون بالأبعاد، وتكون المجموعات العائلية فيها مهمة جداً، والصصريون والصينيون يفهمون معنى أولاد وكرم الضيافة ومساعدة الآخر. هناك الكثير من الأشياء تجمع بينهما. ثمة شيء عميق يجمع بين الصينيين والصينيين، فيجعل القدرة على التواصل أحياناً تجتاز الحواجز اللغوية، وهذا رابط العديد من المرات.

■ من خلال الأدب الذي تعاملت معه.. ما أبرز ملامح المجتمع الصيني المعاصر التي يمكن أن يكتشفها القارئ العربي، ولا تظهر بوضوح في الخطاب الإعلامي أو السياسي؟

- بالطبع يمكن الحديث عن المجتمع الصيني، ومآلامه، لكن الملامح الحالية تشكلت عبر فترات مختلفة. فنتج عنها مجتمع سار نحو البناء والتقدم والاجتهاد في فترة وجيزة، وترسخت عنده قيمة العمل والعمل الجماعي، وتمسك بثقافته، إلى جانب تقديس الوقت واحترام مجهود الآخر.

يمكن ملاحظة التغيرات التي طرأت على الصين وتقدمها، وبالتالي نهض إلى أي مدى انعكس ذلك على المجتمع الصيني وارتقى به اقتصادياً واجتماعياً. ومن خلال الأدب، يمكننا التعرف على ملامح المجتمع الصيني بشكل عام، لكن لا يمكن اختزاله، لأن ذلك لا يتواءم مع العمل الأدبي والموضوع الذي يطرحه المؤلف والخلفية التاريخية، والمكان الذي يتناوله الكاتب. قرية أم مدينة مثلاً. في تقديرى يمكن التعرف على ملامح المجتمع الصيني المعاصر أيضاً من خلال الأفلام الصينية.

■ هل وجدت في الأدب والحكايات الشعبية الصينية ما يقابله أو يشبهه في التراث المصري؟ وما الذي يكشفه ذلك عن التماسك الاجتماعي في الشعبين؟

في نهاية العام الماضي صدر عن دار «المحتوى العربي» كتاب ترجمتها لحكايات شعبية صينية. واعتقد ربما تعلق القارئ خلفية جيدة بالحكايات الشعبية الصينية. من رأيي هناك شيء مشترك بين الحكايات الشعبية العربية والصينية، من حيث القيم الإنسانية والمغزى.

على سبيل المثال، هناك قصة اسمها «سای ونج» فقد

حصانه»، وهي مثل في الأصل، تحكى عن رجل مسن يقابل العديد من العقبات والصعوبات، لكنه كان ينظر بالأمر نظرة مختلفة، يقول إن حدوث شيء محزن ليس بالضرورة أمر سيئ، وهذا ذكرني بمثل «رب ضارة ناعمة».

■ إلى أي مدى تستطيع الترجمة أن تكون حسناً حقيقياً بين الحضارتين؟

وهل يمكننا أن نغير الصورة النمطية التي يحملها كل شعب عن الآخر؟
الترجمة بالفعل هي جسر يجمع بين عالمين والأدب أبقى احتضنهما. أما التواصل الثقافي فهو أرض مشتركة تغلظ فعليا للتفاعل وتقبل الآخر. الممثل يستلهم في إداية الحواجز الفكرية والثقافية، بل ونقل العديد من التفاصيل المهمة عن الآخر. قد تكون هذه التفاصيل كامنة في قصة أو رواية أو قصيدة. نرى المواضيع الطروحة في كل مجتمع، والشكليات، ونلمس علاقة الكتاب مع مندهم والأماكن التي نشأوا فيها. وهذا تأييد آخر لعل عليه في كتابتهم وتفكيرهم. وهنا أتمدح عن الترجمة الأدبية ما شارها تخصصي.

■ ما أكثر ما يمثل تحدياً عند نقل الخصوصية الثقافية الصينية إلى القارئ العربي؟ وكيف تحافظين على روح النص دون أن تفقد به خصوصيته؟

[illegible]

على المترجم أن يكون ملماً بلغته الأم في المقام الأول، وهذا هو مريض الفرس، فيدون هذا، استغل هناك مشكلة التعبير عما ينقله ببساطة، وما أقصده بالأسئلة، وما لا يشعر القارئ بالغربة عند قراءة النص، بل يشعر بتدفقه وانسيابه، حتى ينسجم معه. يقرأ وكأن النص كتب باللغة الأم، هذا الجزء الأهم في الترجمة: أن تضع نفسك باستمرار مكان القارئ، الذي لا يعرف ثقافة البلد أو اللغة التي تنقل عنها.

■ بعيداً عن الأدب، ما الجوانب في الثقافة الصينية التي تتمنى أن

يتعرف إليها المصريون بصورة أعرق؟
والعقاب... ما الذي تتمنين أن يعرفه
الصينيون عن عصر المعاصرة؟
أكتب عن الصين وثقافتها بشكل مستمر، وأوشق
جديدي عن الصين، وهادبي إلى مدنها المختلفة، وكذلك
أحرص على مشاهدتها، فأناقل للقراري حياتها من الأماكن
والثقافة، زرت مقاطعة جاسو، وتكتب أيضا قاصسو
منذ عامين، وتكتب سلسلة مقالات حول التجربة، وعن
طريق الحرير، والأماكن الأثرية والتاريخية التي تجولت
فيها، فغرفتي أكثر عن الصين.

شكرًا للحياة

فلاح جي لسايا

مكتبات برامعة من الزمك
الزمر: الثقافة المحيوية

شكرًا للحياة

دع ملة زمره تتشتم

فلاح جي لسايا

ترجمة:
مي عاشور

kalemat

毕淑敏
 بي شو مين
 انتبه
 للسعادة
 "بذرة النجاح تكمن بداخلك"
 ترجمة:
 ميس عاشور
 Kalamat



شجرة

الصفصاف الثامنة

تأليف: ليو شين وو
ترجمة: مى عاشور



ليو شين وو

بمجرد أن
تطأ قدمي
عند هذه
الشجرة
أشاهد
بلهفة
شرفة
ونافذة
بيتنا

كان
ينشر
قلبها في
كل مرة
تمد فيها
بصرها
فترى
زوجها في
المكان
والزمان
المقدرين

القلب الساكن،
بوسعك دائماً خلق عالم أعمق وأدق،
تحت أى ظروف.

أيتها الرياح!
لا تطفئي الشمعة التي أمسك بها،
فلا يزال بيتي في نهاية ذلك الطريق المعتم
القصى

أيها الشاعر!
فلتبقى صامتا
إن افتقارك للوحى
فى حد ذاته جمال مطلق

العيش فى فراق،
أيام ضبابية...
أما الوداع الأبدى،
أزهار شاحبة متساقطة
وانغ جوه جن: همس
تعالى،
سأبوح لك بسر،
لن أخبر به الغيوم،
وسأخفيه عن النجوم،
لك وحدك سأقول.

لاحقاً،
نبئت لذلك السر،
أجنحة..
ففضيت،
ولكنها لا تدرى،
أن من أفضى السر ليس شخصاً آخر،
بل هى.

اقتباس للكاتبة جانغ آي لينغ
كاد أن يكون النضج الحقيقى هو،
أن تستمر فى حب شيء طالما أحبيته،
دون إصرار على امتلاكه مجدداً
اقتباس للكاتبة سان ماو
حب ليس ضرورياً
ولكن فى غيابك تملك القلب وحشة،
والأيام الموحشة قاسية،
أوحده الحب،
وهو المؤلم؟
النجاة،
بعد حزن عظيم،
أفضل من التآرجج بين الحياة والموت،
لساوم تلك الأحزان الصغيرة يومياً



المشهد؟

الأحلام هى الأصدق على الإطلاق
بوضوح وجلاء،
تخبرك،
عما كمن بروحك من أفكار وهموم مبهمة

يا بشر!
تبادلوا المحبة،
فلكننا مسافرو رحلة طويلة،
متجهين صوب نهاية واحدة.

كلنا أبناء الطبيعة،
مستلقين فى مهد الكون

أيها الشباب!
اجتهدوا فى رسم لوحة حاضركم بعناية،
من أجل ذكريات المستقبل

نور الروح،
يومض فى السكون،
ويخمد فى الصخب

الموت،
هو منتهى الصمت،
وكذلك راحة أبدية.

أشواك الورد،
كراهية لقاطفها،
ومصدر طمأنينة لذاتها.

ما يخلق أرضاً جديدة،
ليست تلك الأمواج المتلاحقة،
ولكن حبيبات الرمال الراكدة تحتها.

أيتها العشبة الهشة!
فلتشرعى بقدر من الفخر،
فوحده انتشارك واسع المدى قد زين العالم.

الشُّهب،
تندفق فى الفضاء،
قد تكون لحظة تأملها قصيرة،
ولكن نورها الخاطف يستقر،
مطولا فى أعماق القلب.

«أين ذهبت؟ كدت أموت من فرط القلق عليك؟»،
شعر زوجها بالغربة لكل ما أفصحته به، فكيف
تبدو ملامحها فاترة فى كل مرة يفترقان فيها؟
ولكنها فى نفس اللحظة تهرع إلى الشرفة
للتبعية بنظراتها وهو يمضى من تحت شجرة
الصفصاف الثامنة.. خيم السكون على المكاملة،
ثم قال لها الزوج بصوت متأثر: «يا لك من امرأة
طبيبة». فى ذلك اليوم، وأنا خارج من بوابة
البنية صادفت السيد وانغ، كانت وحده عمله قد
أرسلت إليه سيارة لإيصاله إلى محطة القطار،
فجعلته يوصلنى معه، لم يخطر على بالك
مثل هذا الأمر. أنا أعرف شجرة الصفصاف
الثامنة. نعم، تلك الشجرة الثامنة. فهل سبق أن
أخبرتكم؟ فى كل مرة أعود فيها من رحلة العمل
-صوب الشرق- إلى الشجرة الثامنة، ظلت تنتظر؛
لأنها تعلم، أنه بعد خمس أو ست دقائق، سيطل
ظل زوجها من تحت شجرة الصفصاف تلك.
إن باب بنايتهم يُفتح من ناحية لا تطل عليها
الشرفات، فعند خروجهم من البوابة، يلفون حول
المجمع السكنى، متجهين صوب مدخل المترو، فلا
مفر من المرور بشجرة الصفصاف الثامنة، والتي
تحجب بعدها الرؤية نقطة الشرطة.

كان ينشر قلبها، فى كل مرة تمد فيها بصرها،
فترى زوجها فى المكان والزمان المقدرين. وخاصة
حينما تلمح حقيبة الظهر المصنوعة من الخيش،
والتي صممها زوجها، وصنعتها هى. كانت دائماً
تتمنى -سراً- له كل خير. ولكنها لم يسبق أن
أفصحنا إلى زوجها عن ذلك المشهد السرى، حتى
إن ابنها لم ينتبه له بتاتاً.

وفى ذلك اليوم، كانت معتادة على الذهاب
والوقوف فى الشرفة، ولكنها فجأة شعرت بقدر
من الانزعاج، وكأنها لا تستطيع التأقلم مع شيء؛
لأن هيئة زوجها لم تلج ببساطة. كان يتعين عليه
أن يستقل المترو متجهاً إلى محطة قطار بكين،
فمستحيل أن يغير طريقه، كيف لم يظهر أثره
تحت شجرة الصفصاف الثامنة؟ وسط أمواج من
القلق، أدركت مدى أهمية هذه النظرة -المعتادة-

القصيرة والثابتة بالنسبة لها.
لم تتمالك نفسها، حتى هربت بالنزول إلى
أسفل البناية، ولكنها وجدت البوابة خاوية.
فساقتها قدمها تلقائياً إلى شجرة الصفصاف
الثامنة، وأخذت تتلفت حولها. هل يعقل أن
الأرض قد ابتلعت أو طار فى السماء؟ فهذا
غير معقول قطعاً. كانت على وشك أن تركض
صوب نقطة الشرطة لتقديم بلاغ بأنه مفقود.

وحينما عادت إلى شقتها، حدثها ابنها، ولكنها لم
تسمع ما قاله، بل تسلى إلى أذنيها صوت «سريئة»،
الإسعاف الذى يبدو -مقترباً ومبتعداً- فى
الشارع، وانفجرت غضباً فى ابنها بلا مبرر، وكان
كان صدرها مثقلاً بحجارة.

ظلت فاترة الهمة لبضعة أيام متواصلة. تارة
تسخر من نفسها، وولوا تستنتج بالمنطق أن
الوضع غير طبيعى، وبه شيء من الغموض. إلى
أن ذات ليلة، تلقت -خبراً- اتصالاً من زوجها
من مكان قصى، لم تمنع نفسها من أن تسأل:

لم تتمالك نفسها حتى هربت بالنزول إلى أسفل
البناية ولكنها وجدت البوابة خاوية



فى

المرآة

قضى الأمر، واستقرّ القضاء، ووقع المحذور الذى طالما تنبأت به النفس، ولم يبق إلا طريق واحد، طريق لا رجعة فيه. ولكنها، قبل أن ترحل، كانت بحاجة إلى أن تترك وصيتها للعالم، رسالة أخيرة تلقى بها على مسامع الأحياء. لم تزل بعض الشواذب الدنيوية عاقلة بها، ولم تفلح بعد فى التخلص منها تمامًا، والآن، حانت ساعة الفراق، ولم يبق لها إلا أن تظهر نفسها من بقايا الدنيا. لعله آخر ما يمكنها أن تقدمه لى سيأتى بعدها، لعله عمل لا طائل منه، أو لعله يزيد الطين بلة، لكنها فى كل الأحوال مصرة على أن تقدمه. ربما كان عليها أن تأخذ سرها معها إلى العالم الآخر، إلى حيث تجزى كل نفس بما كسبت، ولكنها لم تفعل. رفعت بصرها إلى السماء، فنجى ريثما، وتساءله المغفرة على ما اقترفت يداها من ذنوب.

ارتدت إلى رونج خاتمتها وقلادة البشم التى تتبرك بها، ثم نضت عنها ثيابها لتتزين بفستان أنيق. غطت وجهها بوشاح محكم، كاشفة عن عينيها ترقبان العالم بترقب. بهذا الوشاح، بدت كإحدى المسلمات، كان عليها العودة إلى المنزل لإرسال وصيتها عبر البريد الإلكتروني، فالحاسوب هناك، خطر ببالها أن تستعير حاسوب محمول من صديق، لكنها لم تجد فى ذاكرتها من تقترب منه، فقد انقطع عن أسدقائها القدامى منذ زمن. كانت إلى رونج لا تزال تحضر اجتماعات زملائها القدامى بعد استقالتها من وظيفتها الحكومية. فى إحدى تلك الاجتماعات، حضر رئيس مجلس الإدارة، وبعد أن شرب الخمر حتى الشمالة، روى قصة محاولته دخول غرفتها ليلاً خلال إحدى رحلات العمل إلى فرنسا. لكن إلى رونج، بحسبها المبط، استنجبت رجال الأمن الذين احتجزوا رئيس مجلس الإدارة طوال الليل، فى صباح اليوم التالى، شرحت إلى رونج الموقف لرجال الأمن، فاطلقوا سراحه. فى ذلك اليوم، بدا رئيس مجلس الإدارة حزينا بعد أن أفاق من سكرته، وقال لها: «برغم ما فعلته، لا أستطيع أن أكرهك، بل حبى لك يعمل لحد العيادة»، وأثنى عليها لكلماتها الحادّة. كانت إلى رونج قد دفنت ذلك الحادث فى طيات النسيان، فقد تعرضت لثل هذه المضايقات مرات عديدة. بعد ذلك، توقفت عن حضور اجتماعات زملائها. كانت تفكر فى رئيس مجلس الإدارة، فهو ليس رجلاً سيئاً، لكنه عبد للكأس، وطبيعة الحال للغايات كذلك – تكلم به طبيعة الرجال. لا شك أنه ندم على ما بدر منه بعد الشراب. كان من المقبول أن يتفوه بمثل هذه الكلمات فى مكان آخر، لكن ليس أمام مرؤوسيه. كانت إلى رونج تخشى المشاكل، ولم يكن زوجها رون شنج يعلم شيئاً عن كل هذا. ومن طرفها لم تخبره بذلك أبداً.

لا شك أن السبب الأهم فى ذلك الوقت هو أنها لم ترغب فى أن يرى أصدقائها وجهها المشوه. خرجت من جدران المستشفى المباردة، لتستقبلها شمس الصيف بحرارة مشرقة، تغمر الأرض بنورها الذهبى. بعد عشرة أيام قضتها فى ظلمة المستشفى الباهتة، كافحت عينها للتأقلم مع سطوع الشمس



الذى كاد يسلبها وعيها. أغمضت جفنيها برهة، تستجمع قواها، ثم فتحتها ببطء لتستقبل العالم من جديد. تحت أشعة الشمس الدافئة، تنفست الحياة فى كل شىء من حولها، وأيقنت أن جمال هذا العالم لم يتغير، وأن الأمل لا يزال ينبض فى قلب كل شىء.

استقلت سيارة الأجرة، وراحت عينا السائق تراقبها عبر مرآة الرؤية الخلفية، يقطعتين كعيني صقر، تخشى أن تكون قد حمل فى سيارته إرهابية تخفى تحت ثيابها الفضفاضة قنبلة موقوتة، تنتظر اللحظة المناسبة لتنفجر بها وسط حشد من الناس، فتزهق أرواح الأبرياء بمن فيهم هو. وكأنها أرادت أن تهدئ من روعه، أو ربما أرادت أن تمرّج معه مزحة ثقيلة، كشفت إلى رونج عن جزء من وجهها المشوه. ورغم أنها كانت ترتدى واقياً للذقن أعطاه لها الطبيب، إلا أن الجزء المكشوف من وجهها كان مرعباً. فى لحظة، أصبح وجه السائق شاحباً كالأشباح، وكاد يفقد السيطرة على السيارة ويصطدم بسيارة أخرى قادمة من الاتجاه المعاكس. أعادت تغطية وجهها وقالت للسائق بصوت هادئ: «لا تقلق، أنا مجرد مريضة، بدا صوتها مكتوماً وهى تتحدث من وراء وشاحها. لم يجرؤ السائق على النظر إليها مرة أخرى. كان السائق بمثابة مرآة، ومن خلال هذه المرآة تأكد لها مرة أخرى كم كانت مخيفة.

بعد فترة وجيزة، وصل السائق إلى رونج إلى المنزل.

كما تنبأت إلى رونج، كان الصمت يخيم على المنزل يغيب عنه أى أثر للحياة. مضت عشرة أيام منذ أن وطأت قدمها عتبة للمرة الأخيرة. وبدت أركانها باردة موحشة كأنها تنوح لفراق إلى مينج وإى باى، تلاحش الألفة التى كانت تكلل زوايا البيت، فتحوّلت كلها إلى غربة متجهمين. ضربت القوضى أطنائها فى كل مكان، ربما أكثر مما كانت عليه لحظة مغادرتها، وكان المنزل يعكس حالة سكانه. أدركت أن رون شنج قضى أيامه وحيداً منزلاً، فالطبخ خال من أى أثر للطهي، وكأنه مرآة تعكس وحدته وعزّيته. دخلت إلى عالم إى مينج، كأنها تخطو إلى عالم آخر. اصطفت على حافة النافذة كتبية من الأبطال، كل منهم يحمل طبيعة مختلفة ونقاط قوة متميزة، عالم كامل من الخيال احتضنه إى مينج فى غرفته الصغيرة. هنا أوتومان، وترانسفورمرز، وسبايدرمان، وسوبرمان، والجوكر، شخصيات من عوالم مختلفة اجتمعت فى وئام، كأنه يخلق لروح رفقته فى وحدتها. لم يكونوا مجرد دمس، بل رفاق شاركوه لياليه الطويلة وأحلامه الوردية، ومألوا فراغاً لم يستطع سواه فهمه. انتقلت إلى رونج إلى غرفة إى باى، عالم مغاير تماماً. على الجدران، لوحات ملونة للطيور تحلق فى سماء الخيال، وعلى الأرض، مزعة مصفرة نابضة بالحياة. ديك يتباهى بريشه، دجاجات تتناول طعامها، قطعة تلعب مع خنزير ودود. عالم برىء مليء بالحُب والحيوانات يعكس روح إى باى الطفولية. لمعت عينا إى رونج عندما وقعت على دفتر يوميات إى باى. رموز غامضة تزين صفحاته، رسومات تحمل أسراراً لا يفهمها إلا قلب إى باى الصغير. هل كانت هذه هى الطريقة التى سجلت بها مشاعرها؟ تذكرت إلى رونج كيف كانت إى باى تحجل عندما تطلب منها أن تقرأ لها من دفترها، وكيف كانت تروى لها قصصاً قصيرة غير منطقية. ألم حارق أعترى قلب إى رونج، كان الأرض انشقت تحت قدميها. أشياء أطفالها البريئة أصبحت بعيدة عنها، كان مجرد لسمها سيجعلها

تتلاشى إلى الأبد.

دفعت إى رونج باب مكتب رون شنج، وارتسمت على وجهها ملامح الحزن والأسى. وقعت عيناها على صندوقين، أحدهما أسود كظلمة الليل، والآخر قانى كجرح نازف، وأدركت فى تلك اللحظة أن هذين الصندوقين يحملان رماذ شقيقتيها إى مينج وإى باى. عادت بها الذاكرة إلى ذلك اليوم المشؤم، يوم الحادث المروع الذى خطف منهما الحياة فى غمضة عين. وتذكرت نظرة إى مينج الأخيرة، تلك النظرة التى ظلت محفورة فى ذاكرتها كوشم أبدى. تلكما العينين المليئتين بالدهشة والتساؤل، وكأنه طفل صغير توقف لعينته فجأة دون سابق إنذار. لم يسكن الخوف عينيه، بل كان هناك بريق من الفضول تجاه العالم الذى تركه وراءه دون أن يكمل استكشافه.

لم يعد بمقدورها كيح جماع نفسها، فمضت يديها المرتعشتين واحتضنت علبتي الرماذ بكل ما أوتيت من قوة. شعرت بفصّة خائفة تسد حلقتها، تمنعها من التنفّس. ومن خلال رف المكتبة الزجاجي، رأت عروق عنقها تنتفخ وتتلولى كديدان خضراء تحاول خنقها. سمعت دقات قلبها تتسارع كطيول الحرب، شعرت بأنها على وشك الموت. حاولت بشدة نزع الحجاب الذى يخنقها، لكنه كان يقاومها وكأنه هو الآخر يشارك فى عذابها. وفقط عندما انطلقت شهقات بكائها الحارقة من أعماق حلقتها، تمكنت من استعادة أنفاسها. كانت هذه المرة الأولى التى تبكى فيها بحرقه منذ أيام. وبسبب شدة انفعالها، شعرت كأن قلبها قد انسحل من بين ضلوعها. محاولاً احتضان الصندوقين هامساً بأسف عميق: «أسف، أنا أسف...». أدركت حينها عجز الكلمات عن وصف ما يجيش فى النفس من ألم وشوق، وعلمت أن الوقت قد فات، وأن لا شىء يُمكن أن يعيد عقارب الساعة إلى الوراء.

من خلال عينيها الدامعتين لمحت طائرتين يحلقان فى سماء الحرية عبر النافذة، وفجأة، كأنما استفاقت الحديقة من سباتها، اندفعت المياه من نافورة المجمع السكنى فى مشهد بديع، وتهاوت معها أنغام موسيقية هادئة كأنها همس الطبيعة. كانت النافورة، التى تترافق وسط المساحات الخضراء مرة أو مرتين كل يوم، تارة تعرف أحياناً من «أوج لاحد أيام الليلة»، وتارة كانت ربة «أوج فيجارو». فى أيامها الخوالى، عندما كانت ربة منزل، كانت تحقّق طولياً فى تدفق المياه المترافقة نحو السماء، وهى تنحدر على الأغصان المحيطة بها، تهزها برقة كأنها أم حنون تهدد طفلها. كان هذا المشهد يبعث فى نفسها قوة الحياة، وفى الوقت نفسه، يلامس ضعفها الخفى، فقد كاد طفل يفقد حياته فى هذه النافورة ذات يوم.

تسلل الإرهاق إلى أوصالها، فخفت شهقاتها رويداً رويداً حتى سكت. وضعت الصندوق الصغير الذى يحوى رماذ أحبتها على الأرض، ثم استكانت بجوارهما، تستعيد ذكريات بعيدة تتراءى لها كظلال باهتة. تذكرت كيف كان الولدان كالعابهم، كل منهما فريد ومختلف عن الآخر، كما تختلف ألعابهم وتتنوع.

احتفظت إى رونج من قبل فى بستانها بطائرتين من فصيلة «العصفور ذو السبعة ألوان»، الذكر الذى سمى إى مينج برأسه الأسود والألبنى التى سميت إى باى برأسها الأحمر. كانت إى باى تهيم شقياً بالعصفور المسمى إى مينج، ترافقه حينما حل، وترعى شؤونه. كانت إى باى تطلق سراهما بين الحين والآخر ليحلقا فى الفناء ويلعبا بين غابة الخيزران، فيضفيان على المكان بهجة وسحراً. وفى

تأليف: آى وى

ترجمة: محمد عبد الحميد

يوم من الأيام، سافرت إى رونج مع رون شنج، برفقة إى باى، إلى مدينة نانجينج. قبل أن تغادر إى باى، أوصت إى مينج برعاية الطيور، فوعدها بذلك بكل سرور. لكن سرعان ما ضجر إى مينج من إطعام الطيور وتنظيف أقفاصها يومياً. وفى اليوم الثالث من غياب إى باى، أخذ إى مينج الطيور إلى قمة بى قاو شنج، وأطلق سراهما ليحلقا فى السماء. وعندما عادت إى باى، اختلق إى مينج قصة من نسج خياله، أخبرها أنه كان يتمشى مع الطيور فى الشارع عندما التقى رجل دين من معبد لين بين القريب. أخبره رجل الدين أن هذين الطائرتين هما فى الأصل من لوحة جدارية فى المعبد، وقد أصبحا من الخالدين بعد الاستماع إلى الترانيم لسنوات عديدة. ولأنهما من طيور الخالدين، فلا ينبغي تربيتها فى منزل عادى.

لعل قلب إى مينج قد تألم لألم اخته الصغيرة على فراق عصفوريها الأثيرين، فراح يبحث عن هدية يمكن أن تخفف بعض الشىء من حزنه. وقع اختياره حينها على مجموعة نادرة من العملات السحرية المستوحاة من عالم «هارى پوتر» الخيالى، تلك التى طالما تمتد إى باى اقتناها. هـا، همس لها إى مينج بصوت دافئ يحمل بين طياته حنيناً عميقاً: «هذه ليست مجرد عملات، إنها بوابة سحرية. تمنى أمنية فى الليلة الظلماء، وستحلق حولك هيدويك وإيرما كأنها لم يغادرا أبداً، ستريهما مجدداً يا صغيرتى».

لم تتوقف إى باى عن الحديث عن طيورها الأثيرة طيلة الرحلة، وعندما عادت إلى المنزل وعرفت أن إى مينج قد أطلق سراهما، سكتها الحزن. أدرك رون شنج نوايا إى مينج الخبيثة، يعرف أن ابنه قد فعل ذلك عن قصد، ببساطة لم يكن يرغب فى رعاية الطائرتين قوهبهما الحرية، ولم يكن راغب معبد لين بين المزعوم إلا ذريعة اخترعها إى مينج.

اشتعل غضب رون شنج كالجمهر، كيف لهذا المتهور أن يتخلى بدم بارد عن شىء عزيز على قلب إى باى؟ أليس من الواجب عليه الاعتذار؟ لكن إى مينج العنيد المتغطرس، يرفض الاعتراف بخطئه، بل وينظر لرون شنج بنظرات مليئة بالازدراء. هنا استبد الغضب برون شنج، وكاد يضرب إى مينج لولا تدخل إى رونج كالنمرة تحمى صغيرها بجسدها، صارخة فى وجه رون شنج: «أتجرؤ على ضرب طفل؟»، تنفس رون شنج الصعداء، فصرخ إى رونج كانت كطوق النجاة بالنسبة له. لم يكن يرغب فى ضرب إى مينج بأى شكل من الأشكال، ولكن عناده أعمى بصيرته.

فى ذلك اليوم، أحضرت إى رونج من نانجينج طبق البيط المملح، وهو الطبق الذى يعشقه رون شنج. لكنه لم يلمسه. ظنت إى رونج أنه غاضب منها، نادم على ما بدر منه. رآته يقف أمام النافذة، ينظر إلى الخارج حيث تتراقص أوراق الشجر الخضراء الكثيفة خلف نافورة المياه. بعدها اقتربت منه إلى باى، قالت له محاولة تهدئته: «لا تحزن يا أبى، سيعودان، كف عن لوم أخى».

لهضى عليك يا زهرة قلبى، لن يعودا، مثلك تماماً، بال تأكيد ساكن عن لوم أخيك، فلم يتبق منه ومنك إلا حفتنى رماذ، أما الحزن، فأصبح قدرى المرسوم بين عيني.

غابت العصفير، وغابت معها إى رونج وإى باى، ترى هل تحمل الأرواح تلك الذكريات زادا لها فى رحلتها إلى الأبدية؟ لو كان لها مكان فى ثنايا الأرواح عند مفارقة الأبدان، لكان للرحيل معنى آخر، وللغياب نكهة أمل.



آى وى

كانت

إى رونج

تخشى

المشاكل

ولم يكن

زوجها رون

شنج يعلم

شيئاً عن

كل هذا



على امتداد سنوات من الاشتغال باللغة الصينية والترجمة عنها، تشكلت لدى المترجم، والأكاديمي، دكتور حسانين فهمى حسين، أستاذ ورئيس قسم اللغة الصينية بجامعة عين شمس، رؤية مختلفة للصين، تنفذ إلى التاريخ والثقافة والتحويلات الاجتماعية والتفاصيل اليومية التي تصنع ملامح المجتمع.

وخلال حوارة مع «حرف»، يكشف حسانين فهمى عن كواليس تجربته مع الأدب الصيني، وكيف يمكن للنص الأدبي أن يضيء جوانب خفية من تاريخ الصين وتحولاتها، وأن يفتح في الوقت نفسه مساحات للتشابه والحوار بين التجربتين المصرية والصينية.

كما يتطرق إلى خصوصية ترجمة الأدب الصيني، من أسماء الأطعمة والأماكن والأمثال والعادات، إلى المخزون الثقافي والحضارى الذى تحمله النصوص، ودور المترجم فى نقل هذه الخصوصيات بأمانة.

نضال ممدوح



حسانين فهمى حسين:

الترجمة عن الصينية تفتقر لخطة مؤسسية

■ بعد سنوات طويلة من العمل بين العربية والصينية، ما الفكرة الأكثر رسوخًا لديك عن الصين اليوم، والتي لم تكن تعرفها قبل أن تصبح مترجماً عن لغتها؟

الصين بلد حضارى عريق، نشأت حضارته القديمة على ضفاف النهر الأصفر مهد الحضارة الصينية، وأمن منذ نشأته بأن الحضارة والصدافة بمقدورهما أن تكونا جسرين للتواصل والسلام بين الشعوب.

وبعد هذه الرحلة الطويلة مع اللغة الصينية بين الدراسة والبحث والترجمة، ربما أصبحت أكثر إيمانًا وإعجابًا بتقدير الإنسان الصينى لحضارته وتراث وتاريخ بلاده وإيمانه الرسخ بأن تحقيق رغباته الشخصية لا يتأتى إلا من خلال تحقيق الأهداف المشتركة للأمة الصينية مجعًا، أو كما جاء ضمن الأهداف التى أشار إليها الرئيس الصينى شى جين بينج «تحقيق الرفاه والرخاء المشترك لأبناء الأمة الصينية».

■ هل حدث أن غيرت ترجمة عمل أدبى صينى موقفك من قضية أو شخصية أو مرحلة تاريخية فى الصين.. وما العمل الذى ترك هذا الأثر فيك؟

ليس تغييرًا بالمعنى الحقيقي للكلمة، وإنما هو كشف لحقائق تاريخية، وتأكيد نقاط تشابه كثيرة فى مراحل تاريخية مهمة بين كل من تاريخ الصين الحديث وتاريخ مصر الحديث، وأقصد بذلك ما صورته الروايات الصينى الكبير والحاصل على نوبل الآداب ٢٠١٢ مويان فى روايته «الذرة الرفيعة الحمراء»، ما يتعلق بالمقاومة الصينية ضد المعتدى اليابانى، خاصة ما يتصل بسيرة بطل العمل «يوجان أو»، الذى كان زعيمًا لعصابة قطاع الطرق قبل أن يصبح جزءًا مهمًا من المقاومة الشعبية ضد المعتدى الأجنبى لبلاده، ويتحول إلى بطل شعبى يقود رجاله للقتال جنبًا إلى جنب مع الجيش الصينى.

وهو ما يذكركم بفنوات أعمال نجيب محفوظ، عندما يستخدّم الفتوة قوته لنصرة المظلوم وحماية الضعفاء، ثم المشاركة فى الدفاع عن الوطن ضد الطامع الأجنبية.

■ عندما تختار نصًا صينيًا لترجمته إلى العربية، هل تنتظر أولًا إلى قيمته الأدبية.. أم إلى قدرته على تقديم صورة مختلفة عن الصين للقارئ العربى؟

– دعينا نتفق على أن القيمة الأدبية للعمل شرط أساسى ومهم لضمان نجاح العمل الأصيل، وكذلك نجاح نفس العمل فى اللغة المترجم إليها، خاصة عندما يتعلق الأمر بالترجمة إلى العربية للقارئ الذى يقدّر القيمة الفنية للعمل، وبالطبع يشغلنى قدرة العمل على تقديم جوانب جديدة

■ مع اتساع استخدام الذكاء الاصطناعى فى الترجمة.. ما الذى تخشى أن يفقده النص الصينى عندما تنتقل مهمة نقله إلى العربية من مترجم يعرف الثقافة إلى آلة تعرف اللغة؟

– نخشى التضحية بروح النص، وأن تكون عملية الترجمة مجرد نقل آلى لكلمات دون مراعاة تفاصيل كثيرة تمثل جوهر العمل الأصيل، خاصة عندما يتصل الأمر بترجمة نصوص أدبية صينية أهم ما يميزها الإرث الثقافى والحضارى للأمة الصينية التى تتكون من 56 قومية لكل منها إرثها الثقافى الخاص.



حسانين فهمى يتحدث لبعض وسائل الإعلام

للقارئ عن الصين التى تصورها الأعمال الفنية الغربية وتحصرها فى صور نمطية بعيدة عن قيمتها الحقيقية. وهذا ما عايناه منه أيضًا من نقل أعمال أدبية عربية إلى الصينية عن لغات وسيطة، سارت على نفس المنهج الغربى فى تقديم صورة بعينها للمجتمع العربى، قبل أن ينهض بأمر الترجمة من العربية مجموعة من المستعربين الصينيين ممن هم على دراية جيدة بالثقافة العربية وقيمتها، والتزامهم الدقة والأمانة فى الترجمة عن الثقافة والمجتمع العربى.

■ هناك تفاصيل صغيرة فى الأدب؛ أسماء الأطعمة، الأمثال، العادات، أسماء الأماكن، قد تكون أكثر قدرة على كشف المجتمع من الأحداث الكبرى.. كيف تتعامل معها كـمترجم؟

– كثيرًا ما يجد المترجم نفسه أمام أعمال مليئة بالتفاصيل الدقيقة المتعلقة بأسماء الأطعمة،

القومية للترجمة ٢٠١٧ فى جزعين، وحصل على جائزة الشيخ حمد للترجمة والتفاهم الدولى عام ٢٠٢١. الذى يتناول تاريخ الأطعمة الصينية وخصوصياتها الثقافية على مستوى المناطق الصينية المختلفة وتقسيمات المطبخ الصينى وعادات وثقافة الأطعمة الخاصة بالأعياد والمناسبات الصينية التقليدية.

كما يقدم الكتاب لثقافة الأطعمة الخاصة بالمعتقدات المختلفة فى الصين بما فيها البوذية والطاوية والإسلام والمسيحية، وعادات الطعام عند الأقليات الصينية الست والخمسين وتاريخ تطور الأطعمة الصينية. كما يهتم الكتاب بتقديم بعض الجوانب المهمة حول ثقافة الشاى الصينى وأنواعه وطرق وأداب تناوله.

■ من خلال تعاملك مع الرواية الصينية.. كيف ترى علاقة الأدب الصينى بالتحويلات الاجتماعية الهائلة التى شهدتها الصين خلال العقود الأخيرة؟

– هذه نقطة مهمة يقف عندها المترجم للإبداع الصينى المعاصر، إذ يجد نفسه أمام عدد كبير من الأعمال التى تصور ما شهدته الصين عقب إطلاق سياسة الإصلاح والانفتاح عام ١٩٧٨ من تحولات وتغيرات اجتماعية كبيرة، أبرزها الهجرة من الريف إلى المدن وتأثير حياة المدينة والتأثر بالثقافة الغربية والأغتراب النفسى والفجوة بين الأجيال خاصة فى ظل سياسة الطفل الواحد التى طبقتها الصين من ١٩٧٨ وغيرها من الظواهر التى رصدتها أعمال أدبية مهمة لكتاب معاصرين، من بينها ما صورته قصة «جبال الذهب والفضة»، للكاتبة جانج كانج، صدرت ضمن ترجمتنا لكتاب «مختارات قصصية لكاتبات صينيات معاصرات، من حجرة الفلاحين الصينيين من الريف إلى العاصمة بكين للعمل فى مطلع الثمانينيات، ورواية «الموبايل» للروائى ليوجين يون والتى تعد من أبرز الأعمال الأدبية المعاصرة التى صورت التحولات الاجتماعية فى الصين المعاصرة وتأثيرها على العلاقات بين الأفراد وتفكك الأسرة الصينية. وما صورته رواية «الضفدع»، لمويان مما يتعلق بتأثير تطبيق سياسة الطفل الواحد فى الصين.

■ هل تعتقد أن مستقبل الترجمة بين مصر والصين يحتاج إلى مترجمين أكثر.. أم إلى مشروع مؤسسى يحدد ما الذى ينبغى أن يترجم ولماذا ولمن؟

– اعتقد أن كليهما يكمل الآخر، فالمشروع المؤسسى تجربة مهمة سبقت إليها دول أخرى واثبتت نجاحها، والمشروع المؤسسى الجيد سيفرز بدوره مترجمين متمرسين أكثر وعيًا بأهمية الترجمة ودورها فى تعزيز جسور التواصل بين البلدين.

ففى ظل الاهتمام المتزايد بتدريس اللغة الصينية فى الجامعات المصرية وافتتاح مصر على الصين، أصبح لدينا فى الوقت الحالى ٣٦ قسمًا للغة الصينية بالجامعات الحكومية والأهلية والخاصة، والتى تخرج بدورها مئات الخريجين كل عام، ولكن كم من هؤلاء الخريجين قادر على الممارسة الفعلية للترجمة وترجمة النصوص الإبداعية على وجه الخصوص؟ صحيح أن حركة التبادل الثقافى بين البلدين تشهد ازدهارًا واضحًا خلال السنوات الأخيرة، ومنذ طرح مبادرة الحزام والطريق الصينية عام ٢٠١٣ على وجه الخصوص، وإطلاق مشاريع تستهدف ترجمة عدد كبير من الكتب الصينية إلى اللغات الأجنبية ومن بينها العربية، لكن ظل العمل فى الترجمة عن الصينية فى مصر يفتقر إلى خطة مؤسسية واضحة تضع أولويات بما نحتاج إلى ترجمته عن الصينية، وهذا لا يقلل من الدور الذى تقوم بها مؤسسات مثل المركز القومى للترجمة ودور ناشر خاصة فى تقديم عدد كبير من الترجمات عن الصينية.

■ بعد وصول مشروع «قراءات صينية، إلى عشرات الأعمال، هل تغيرت معاييرك فى الحكم على ما يستحق أن يصل إلى القارئ العربى؟ وما النص الذى كنت ستختار ترجمته اليوم ولم تكن تختاره قبل سنوات؟

– كان عام ٢٠١٧ نقطة الانطلاق لمشروع سلسلة «قراءات صينية، بالتعاون مع دار صفصافة للنشر، وقد شارفت الأعمال التى صدرت عن السلسلة مائة عمل بين الأعمال الإبداعية والعلوم الاجتماعية، وحازت بعض أعمال السلسلة على أكثر من جائزة فى الترجمة، جائزة معرض القاهرة الدولى للكتاب فئة أفضل ترجمة مقدمة للطفل، جائزة الترجمة للشباب من المركز القومى للترجمة وجائزة جمال حمدان فى مجال الدراسات الإنسانية والعلوم الاجتماعية، ومنذ صدور العمل الأول من السلسلة، كتاب «التنين يحلق»... دراسة فى الاستثمارات الصينية الخارجية، حتى آخر عمل قيد النشر رواية «زائر السهول»، سارت معايرنا فى اختيار الأعمال للترجمة وفق رؤية تتطور باستمرار وفق الحاجة المعرفية ونشغلنا بتقديم ما يسهم فى تعزيز التواصل الثقافى الصينى العربى، ويقدم قيمة حقيقية للمكتبة العربية.

■ لو طلبنا منك أن تختار ٣ كتب صينية فقط ليقراها المصرى الذى يريد أن يفهم الصين بعيدا عن الصورة السياسية والإعلامية والسياسية، فما الكتب التى ستختارها؟ ولماذا؟

– تزرخ المكتبة العربية فى الوقت الحالى بقائمة طويلة من العناوين المهمة عن الصين، والتى نثق فى أنها كفيلة بأن تقدم معلومات مفيدة للقارئ العربى عن الصين، وقد يكون من الصعب حصر الإجابة فى ٣ عناوين فقط من هذه القائمة الطويلة، ولكن إذا كان ولا بد، فمن بين القائمة التى ترجمتها ربما أميل إلى ترشيح كتاب «موجز تاريخ الدبلوماسية الصينية القديمة»، لما يتضمنه هذا العمل المهم من محتوى ثرى ينطلق من التعريف بسياسة العلاقات الخارجية فى مطلع عصر أسرة شيا الصينية والتى أسست للدبلوماسية الصينية القديمة مع دول وممالك الجوار، مرورًا بانفتاح الصين على العالم الخارجى وبعثات جانج تشيان المبعوث الصينى المعروف والتأسيس لمرحلة مهمة من الدبلوماسية الشعبية الصينية وتأسيس علاقات أكبر مع دول العالم القديم.

وهناك أيضًا رواية، «الصياد»، الصادرة ضمن مشروع «قراءات صينية، للكاتبة والشاعر الصينى المعاصر جاولى هونغ ترجمة هبة سبير محمد المطراوى وهى رواية للناشئة حازت ترجمتها جائزة معرض القاهرة الدولى للكتاب ٢٠٢١ فئة الكتاب المقدم للطفل، والتى تنطلق من تصوير صدمة الثورة الثقافية الكبرى، وحملة تدمير القديم من التراث والكتب والكنوز التاريخية، وشجاعة بطل الرواية الفتى دالو فى الحفاظ على المنحوية التاريخية.

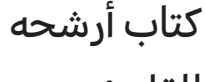
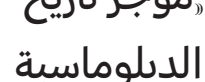
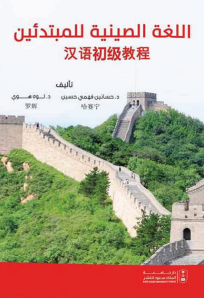
وأخيرًا هناك كتاب «العرب فى كتب التراث الصينية، الذى صدرت طبعته العربية عن مكتبة الملك عبد العزيز بالملكة العربية السعودية مطلع ٢٠٢٦.

وجمعت المواد التاريخية التى تناولها الكتاب من أكثر من ٤٠ كتابًا من كتب التراث الصينية، وتغطى الفترة الزمنية من عصر كتاب «السجلات التاريخية، لمؤلفه سى ماتشيان، وعصر أسرة خان الغربية حتى كتاب «سجلات القارات الأربع»، لمؤلفه لين تزه شيو من أواخر عصر أسرة تشينج الإمبراطورية، ما يغطى ٢٠٠٠ عام.

وينقسم الكتاب إلى جزعين رئيسيين، شمل الجزء الأول المواد التاريخية المتعلقة بالعرب فى الكتب التاريخية، ٢٤، و«سجلات تزي جيه»، وقسمت الاستشهادات التى اقتبست من الكتب التاريخية الـ ٢٤ إلى فصول بحسب ترتيب الأسر الإمبراطورية. ما يغطى ٢٠٠٠ عام.

ويشمل الكتاب إلى جزعين رئيسيين، شمل الجزء الأول المواد التاريخية المتعلقة بالعرب فى الكتب التاريخية، ٢٤، و«سجلات تزي جيه»، وقسمت الاستشهادات التى اقتبست من الكتب التاريخية الـ ٢٤ إلى فصول بحسب ترتيب الأسر الإمبراطورية.

وحوى كل فصل فى نهايته خاتمة موجزة، لخصت أحوال التبادلات التى كانت قائمة بين تلك الأسرة والعرب، وتناول الكتاب عبر فصوله العشرة: صورة العرب فى كتب التاريخ الرسمية فى عصر أسرة تانج، وأسرة يوان، وأسرة مينج، وأسرة تشينج، وصورة العرب فى كتابى: «سجلات تزي جيه»، و«ملحق كتاب تزي جيه»، وكتب التبادلات الصينية الأجنبية، وصورة العرب فى الشعر الصينى القديم.



سلسلة «قراءات صينية» ترجمت 100 عمل بين الإبداع والعلوم الاجتماعية

أخشى التضحية بروح النص إذا استسلمنا للترجمة بـ«الذكاء الاصطناعى»

36 قسمًا للغة الصينية فى الجامعات الحكومية والأهلية والخاصة



زائر

السهول

تأليف: لى بى فو

ترجمة: حسانين فهمى حسين

بمعنى القول المأثور «المثقف عديم النفع». وخلال فترة الثورة الثقافية، تعرض للاضطهاد من قبل طلابه بسبب اسمه «عديم النفع»، حيث اتهموه بالانهزامية. وبعد دمج المعهد الزراعى مع معهد الغابات لاحقاً، تم نفيه إلى هواى يانغ، وهناك تشارك «حظيرة أبقار» مع البروفيسور لوه هواى جين، الأستاذ بمعهد الغابات، فكانا يأكلان ويقيمان ويعملان معاً. وبعد عودتهما إلى المدينة، أصبحتا صديقين مقربين، وكان يلتقيان مرة أسبوعياً للعب الشطرنج. أما لوه تشيواى، فكانت الابنة الوحيدة للبروفيسور لوه هواى جين. وفى كل مرة يلتقيان، كان البروفيسور وو يتحدث مع صديقه عن أحوال الجامعة. وما إن يأتى على ذكر طلاب الدفعة الحالية حتى يهز رأسه قائلاً: أصحاب مستوى متدنٍ، وقاسيس متدنٍ. بيد أنه كان ما إن يسترسل فى الحديث، حتى يذكر تلميذه النجيب لى دالين. وعند ذكر لى دالين، كان لا يتمالك نفسه ويكيل له من المدح والثناء، قائلاً: إنه حقاً نابغة عصره وعلامة زمانه. وما إن يشتد حماسه، حتى يلتقى بقطع الشطرنج ويصبح بأعلى صوته: فتشوا فى تسعة وأربعين جامعة للعلوم الزراعية على مستوى البلاد، كم طالباً تمكن من نشر مقالاته بالدوريات الأمريكية؟ وكم منها نُشرت بمجلة علوم التربة الأمريكية، هذه المجلة العلمية المرموقة ذات السمعة العالية. ورب كلمة قالها صاحبها عن غير قصد، وقعت على عقله وقلب مستمعها. وكانت لوه تشيواى التى تصب الشاى لأبيها وصديقه سمعت أكثر من مرة ثناء البروفيسور وو على تلميذه. حتى الفتى أذناها قبل أن تبصره عينها. وذات مرة، وبينما تصب لهما الشاى، قال لها البروفيسور وو متعمداً: شاى تشيواى، إذا رغبت فى الزواج يوماً ما، لتختارى رجلاً مثل هذا العالم. حينذاك أحمر وجه لوه تشيواى من شدة الخجل. وكان ذلك العصر عصر القراءة بامتياز، وكانت الفتيات آنذاك تتمتعن بروح، يقظة وثقافة عالية. وكان فتى أحلام الفتيات الثلاثى ولدت لعائلات مثقفة أمثال لوه تشيواى، أو لتقل معيار الحب لديهن اختيار شخصيات الكتب التى يقرانها وليس الشخصيات الواقعية. كانت مقالة «حديقة غولدياخ» للكاتب شيوتشى قد



واحد، اثنان اثنان ثلاثة أربعة واحد... فى الوقت الذى لم تطأ فيه قدما لى دالين قاعة رقص من قبل. كلا، بل دخلها مرة واحدة. وكان ذلك ليلة عيد الشباب فى الرابع من مايو ذلك العام، حين أصغر زملاؤه على اصطحابه معهم بالقوة إلى قاعة الرقص. وبينما كان الجميع يرقصون على أنغام الموسيقى، ظل هو جالساً فى ركن بعيد، بجانب كومة من قشر بذور دوار الشمس التى خلفها زملاؤه. ولم يطلبه أحد للرقص، وهو أيضاً لم يجرؤ أن ينهض ليطلب من أى زميلة للرقص معه، وما إن دقت التاسعة، حتى فر هارباً. ولم يكن ذلك بسبب شخصيته الانطوائية فحسب، فعلى الرغم من عدم رغبته فى الاعتراف بذلك، إلا أنه كان يشعر فى أعماقه بشيء من الدونية. وقد كان شاباً قصير القامة، ذا بشرة سمراء، تعلو جبهته تجاعيد عميقة، بوجه يشبه ثمرة القرع. وبالمقارنة بأقرانه، كان يعتقد أنه مجرد «بطلة قبيحة». ولهذا كان نادراً ما يشارك زملاءه فى الأنشطة الجماعية. وبالرغم من ذلك، كان الطالب الأثير لى البروفيسور وو. وكان صاحب الأداء الأفضل بين طلاب قسم العلوم الزراعية، وخاصة فى السنة الثالثة، إذ كان الطالب الوحيد فى المعهد آنذاك الذى نُشرت له مقالة فى مجلة جمعية علوم التربة الأمريكية Soil. Science Society of America Journal. وتم إدراج بحثين له فى تقارير الاستشهاد بالمجلات العلمية الدولية Journal Citation Reports JCR، «الأمر الذى أعلى من شأن المعهد الزراعى بوجه عام. ولم يقتصر الأمر على اختيار البروفيسور وو، الذى عين للتو نائباً لرئيس الجامعة له كطالب دراسات عليا يشرف عليه، بل إن جامعة كولومبيا وجهت له الدعوة للدراسة بها. الأمر الذى دفع زملاءه إلى الشعور بالدهشة، كيف لشخص مثله لا يملك أى علاقات أن ينشر مقالات علمية بهذه الدوريات الدولية المرموقة؟ بيد أن الأمر الذى لم يكن يعلمه هؤلاء جميعاً، أنه تقريباً كان يقضى إجازاته بمعهد البحوث الزراعية بمدينة ميلينج. ورعاية من أحد أحواله من درجة بعيدة، تمكن من العمل بذات المعهد كموظف منتدب، يحصل على الوجبات دون الراتب». وبالطبع كان ذلك بفضل رعاية ودعم البروفيسور وو. وكان البروفيسور وو قد تواصل شخصياً مع مدير المعهد، وطلب منه أن يخصص للى دالين قطعة أرض بمساحة ١١٠ أمتار مربعة تقريباً لإجراء البحوث فى مجال سلالات القمح. أما البروفيسور وو فكان شخصاً مميزاً، صريحاً ومباشراً. اسمه الكامل وو تيان دوه، وكان خبيراً وطنياً معروفاً فى مجال الذرة الشامية. وكان يكتب مقالاته باسم مستعار هو وو يونغ «وو عديم النفع»، مستعيناً

بعد ظهر ذلك اليوم، خرج لى دا لين ليودعها فى محطة الحافلات. وكانت محطة حافلات ميلينج تعج بالنفوضى، وبالركاب الراحين والغادين كقطعان الأغنام. وعندما رافقها إلى داخل المحطة، خشى أن يراه أحد من معارفه، فتعمد أن يحافظ على مسافة بينها وبينه. بيد أن لوه تقدمت بخطوات سريعة متعمدة، وأمسكت بذراعه، لتتير بفعلتها انتباه المحطين بهما. فقال لى دالين: لا داعى لهذا، نحن فى عاصمة المدينة، فما كان منها إلا أن رفعت رأسها عالية وقالت: ماذا بك، أنا لا أخشى شيئاً. وقبيل صعودها الحافلة، دنت من أذنه وقالت: I love you. وفى مساء تلك الليلة، شعر بسخونة تسرى فى أذنيه من رائحة تلك المرأة، حتى فارق النوم جفنيه. وأخذ يسأل نفسه مراراً: هل أنه حلم؟ أما الوشاح، فقد طواه بعناية ووضعه بجانب وسادته، وحل يمد إليه يده بين الحين والآخر يستمتع بملامسه الناعم. وبعد سبع سنوات، انتهت هذه القصة واقتربا. وأخذت لوه تشيواى معها جميع ما يخصها، حتى ابتنتهما صاحبة السنوات الست. ولم تترك له سوى الوشاح، فقط لأنه سبق وارثدها من قبل.



كان زواج لى دالين من لوه تشيواى بترتيب من أستاذة البروفسور وو. وفى طفولته، كان أقصى أحلامه أن يظفر بتناول خبز المانتو غير المحشو. وفى ذلك الحين، كانت أقصى أمانى ابن فلاح مثله أن ينعم بتناول المانتو فى وجباته الثلاث. وحينما أصبحت لديه طموحات لاحقاً، صار يحلم بتحقيق ما تناقلته الأجيال فى أساطير ميلينج الشعبية: أن تحمل نبتة القمح الواحدة اثنتى عشرة سنبلية، حتى ينعم جميع الأهالى بتناول المانتو. وفى حقيقة الأمر، أنه شبع فى طفولته من خبز البطاطا الحلوة، حتى عافه. وبعد إعادة العمل بنظام امتحانات القبول الجامعى، اختار طواعية الالتحاق بالمعهد الزراعى. وخلال تلك السنوات، كان لى دالين أكثر طلاب المعهد الزراعى، الذى تغير اسمه لاحقاً إلى جامعة العلوم الزراعية والتكنولوجيا، اجتهداً وصبراً على المشقات، وباستثناء أوقات النوم والطعام، كان يقضى يومه إما فى قاعة الدرس أو فى المكتبة. ونادراً ما كنت تراه يتسكع فى الأسواق أو يذهب إلى قاعات الرقص مثل بقية زملائه، وفى ظل انتشار «موضة الرقص» بين الشباب آنذاك، حتى إنك كنت ترى كثيراً من الطلاب يرددون أثناء مشيهم إيقاعات الرقص: واحد اثنان ثلاثة أربعة..

لم يكن لى دالين يتخيل ولو فى أحلامه، أن تكون لديه ثلاث نساء. والأكثر من ذلك أن يتزوج من امرأة مثل لوه تشيواى. وبعد سنوات طويلة مما حدث، كان الوشاح لا يزال معلقاً فى خزانة ملابسه، ذلك الوشاح الذى كان يوماً ما رمزاً لحيهما. كان وشاحاً طويلاً أبيض منسوجاً من خيوط صوف الغنم. ذلك الخيط الذى لا تجده إلا فى شينجيانغ، وقد اشترته لوه تشيواى فى إحدى زياراتها إلى هناك لمشاهدة غابات الحور. كانت قد نسجته بيديها، واستغرقت فى ذلك أكثر من شهر. وكان الوشاح طويل ناصع البياض ناعم الملمس، يشعر من يرتديه وكأنه قطعة من الشال التبتى التقليدى. بيد أنها طرزت طرفيه بأوراق القيقب الأحمر، وقالت إنها علامة مميزة تخصها. حدث ذلك حينما كان لى دالين طالباً بمرحلة الدراسات العليا. وبينما كان يتفقد الشتلات بأحد الحقول التجريبية فى موسم بداية الربيع، جاءت لوه تشيواى من عاصمة المقاطعة إلى بلدة ميلينج، وما إن وصلت حافة الحقول الذى يتفقد لى، حتى ألقت بالوشاح على رقبته. صادف ذلك عودة شتلات القمح للاخضرار من جديد، بينما لم يكن الثلج قد ذاب بعد. وكانت لوه تشيواى ترتدى كنزة صوفية برفية عالية بلون وردي داكن، وفوقها معطفاً شتوياً فضفاضاً يرفرف مع الريح، وقد أخذت تتقدم تحت أشعة الشمس، قبل أن تقف فى الحقول كما لوحة زيتية، وبدت له امرأة نبيلة وفاتنة. فأخذ يحقّق فيها بذهول، حتى دنت منه وألقت بالوشاح على رقبته. ثم أخبرته بأنها انتهت للتو من قراءة مقالة «حديقة غولدياخ» للكاتب شيوتشى. أما هو فلم يكن قرأ شيئاً عن «حديقة غولدياخ»، بل ولم يكن يعرف من يكون شيوتشى من الأساس، فاكثفى بالنظر إليها فى ذهول. ثم عرف لاحقاً أنها مقالة من أدب التقارير، وأنها تتحدث عن إنجازات عالم رياضيات اسمه تشن جينغ رون. كان الأمر أشبه ما يكون بحب هبط من السماء، بشكل مفاجئ كما الصاعقة. وفى ذلك اليوم، اكثفى لى دالين بالوقوف كالغشى عليه، لا يعرف ماذا قال لها، وإن كان يذكر فقط أنها أحضرت له قربة للماء الساخن، وقالت: «سمعت أن معدتك ليست بخير، بإمكانك استخدامها للتدفئة ليلاً». فسحب مدير معهد العلوم الزراعية بالمدينة جانباً وقال: ما الأمر يا فتى؟ ما أسعد حظك مع النساء! حتى تفوز بهذه الحساء. عليك أن تتمسك بها. وكانت تلك هى زيارتها الأولى لمعهد العلوم الزراعية، ومكنت به نصف يوم فقط. وعندما رغبت فى المغادرة

كان يشعر فى أعماقه بشيء من الدونية وقد كان شاباً قصير القامة ذا بشرة سمراء تعلو جبهته تجاعيد عميقة



نشرت للمرة الأولى في العدد الأول من مجلة «أدب الشعب»، قبل أن تنشر تباعا في صحيفتي «الشعب» و«النور»، وتحدث ضجة كبيرة على مستوى الصين. وأصبحت المعادلة ٢=١ حديث الناس في كل أنحاء البلاد. لكن ما المقصود بقولهم ٢=١؟ لم يستطع أحد أن يجيب عن ذلك بوضوح- بمن فيهم الكتاب أنفسهم. كان ذلك أشبه بمتاهة، أو بتعويذة سحرية، لن يستطع حلها إلا «الخارقون»، هكذا حتى بدأ الشغف بمعرفة بطل العمل يسير على الفتيات، وبدأن يسألن بجنون عن بطل المقالة تشن جينغ رون. وبدأت آلاف الرسائل الغرامية تتدفق إلى بكين، فياله من بطل انتزع «لؤلؤة التاج»!

وقرأت لوه تشيواي مقالة «حسية غولديباخ» آنذاك بعدد صحيفة «النور»، فأشعلت كلمة «حسية» نارولهب الشوق في قلبها الشاب. وكانت تضع العدد المنشور بها المقالة إلى جانب وسادتها، ولا تتوقف عن قراءتها مرارا وتكرارا، بل ولم تكن تتمالك نفسها وكانت تقرأها بصوت عال في غرفة نومها، وفي كل مرة يشتد تأثرها بها تذرف عينها الدموع وتصرخ.. ولكن بكين بعيدة جدا، هكذا حتى بدا له تشن جينغ رون بطل «حسية غولديباخ» شخصية غامضة صعبة المثال. وفي المقابل تجد إلى جوارها شائبا عاثا، وقد يكون عاثا في المستقبل باحثا في سلالات القمح، فلماذا لا؟

يمكن القول بأن مقالة «الحسية» هي التي جمعت بينهما، وصاغت زيارة لوه تشيواي إلى دالين الثانية في موسم تفتح سنابل القمح. وكان لى دالين يعمل حينها على استنباط سلالة هجينة من القمح تعرف بـ«ميلينغ رقم ٧»، وقد سبق له استنباط سلالات من «ميلينغ رقم ١»، حتى «ميلينغ رقم ٧»، منها ما يقاوم الانحناء وما يقاوم الأفات وما يزيد من وزن الحبة. قبل أن يعمل على استنباط سلالة جديدة باسم «هوانغ هواي-١»، وهي سلالة من نوع نبتة القمح ذي السنبلكين، والتي قبل أن انتاجيتها يمكن أن تتضاعف أكثر من الضعف. بيد أنه عندما كان على وشك استنباط هذه السلالة، وقعت كارثة، سيأتى ذكرها لاحقا.

وفي زيارتها الثانية إلى ميلينغ، حملت لوه تشيواي سلة من الفواكه، ومعها قلبها الذي ظل مضطربا طويلا، قبل أن ينعم مؤخرا بالسكينة والاستقرار. جاءت إلى هنا مدفوعة بـ«الحسية»، وها قد أصبح لها أخيرا «حسيتها» الخاصة، وبامتلاك هذه الطالبة الجامعية بقسم اللغة الصينية «حسيتها»، بإمكانها أن تتحدى العالم كله من أجلها. وفي حقيقة الأمر، لم تكن لوه تشيواي في بداية الأمر معجبة بلى دالين، كانت محاطة آنذاك بالكثير من المحبين الساعين لودها.. في مقابل لى دالين قصير القامة، ذي الوجه الذى يشبه حبة القمح، صاحب الملامح الجامدة. قبل أن تجد نفسها أخيرا أسيرة لعينيها ولتأثير «حسية غولديباخ».

كان ذلك في يوم أحد في الثلث الأخير من شهر أبريل، بينما بدأت الأجواء تميل إلى الدفء، وكانت لوه تشيواي ترتدي فستانا من الطراز الذى بدأ ينتشر مؤخرا، وقميصا قصير الأكمام باللون الأزرق الفاتح كضوء القمر، وتنورة زرقاء تزينها نقط سوداء صغيرة، بينما يتدلى شعرها الطويل على كتفيها، وهي تمشى بخطوات رشيقة، كما زهرة السوسن، تمشى بدلال يعكس أنوثة طاغية.

وعندما ذهب مدير المعهد لينداي لى دالين، ريت على كتفه قائلا: هيا بسرعة، لقد جاءت فتاة العاصمة ثانية، أرى أن الأمر قد تم.

وعند لقائهما، كان لى دالين قد خرج لتوه من حفل القمح حافى القدمين، حتى إنه لم يجرؤ على النظر إليها، فاكنتى يانحناة قائلا: جئت؟ فردت لوه تشيواي بعفوية وثقة: اليوم يوم أحد، جئت لرؤيتك.

وصادف ذلك اليوم أن كانت الشمس مشرقة، والطقس معتدلا، وكان طقسا مثاليا لتلقيح القمح الهجين.

وقال لى دالين بتبرد: إذن، أنت.. وأنا على أن أذهب لتلقيح القمح.

فشعرت لوه بأن الأجواء من حولها غامضة، فقالت بدافع الفضول: هل يمكننى الذهاب معك؟ فى الحقيقة ليس هناك ما يستدعى المشاهدة، رد لى دالين.

حينذاك تمايلت لوه بدلال وهزت خصرها وقالت:

أرجوك، دعنى أذهب معك وبإمكانى مساعدتك.

تمايلت بدلال وجاذبية خاصة، أرتجف لها قلب لى دالين الذى رد قائلا:

«حسنا، كما تشاين، هيا بنا».

وفى طريقهما إلى حفل القمح، سألت لوه تشيواي: كيف تتم عملية تلقيح؟

«القمح من النباتات ذاتية التلقيح بطبيعته، ولضمان انتقاء النباتات الأيوبية المناسبة، يجب أن يتم التلقيح يدويا،» أجاب لى دالين.

فسألت لوه وقد احمر وجهها خجلا: وكيف يتم التهجين؟

«نبدا بإزالة السلالات التى تحمل الصفات الذكورية،» أجاب

«أى سلالات تقصد؟».

«السلالات ذات الصفات الذكورية».

فاشدد احمرار وجنتيها من شدة الخجل وتابعت:

وكيف تزال السلالات الذكورية؟

حينذاك خطر بالها فجأة ما يتعلق بعملية «الإخصاء».

«يحتوى ساق القمح على ثلاثة أسدية وأنثى واحدة.

تقوم بداية بإزالة الأسدية، ثم تغلف الزهرة بكيس ورقي، وتعلق عليها بطاقة تعريف، ويتم عزلها عن بقية النباتات. وخلال يوم إلى ثلاثة أيام، تقوم بالتلقيح، وبالطبع يجب اختيار أفضل عضو تكثير...» قال لى دالين.

وهل يمكن القيام بالتلقيح فى أى وقت بعد تفتح النباتات؟ سألت لوه تشيواي.

أكثر فترة لنشاط الزهرة يستمر عشرين دقيقة فقط.

قال لى دالين.

وما إن ذكر نشاط الزهرة حتى ألقي نظرة خاطفة على لوه تشيواي.

فغيرت لوه الموضوع قائلا: سمعت أدهم يقول إنك عازم على أن يأكل جميع أبناء البلاد خبز المانتو، ليس كذلك؟

فرد لى دالين بشيء من الخجل: لنقل إنها مجرد أمنية أمنية فقط.. فقد تجرعت مرارة الفقر فى صغرى.

يا لها من فكرة رائعة، حقاً فكرة عظيمة. قالت.

وتابع لى دالين فى عجالة: فى طفولتى، كنت أتمنى تناول خبز المانتو. ولم أكن أجرو على تمنى شيء سواه.

فزاد كلامه من حماسها، فاستدارت بسرعة وقالت:

سمعت أن هناك فى جنوب الصين يوان لونج بينغ الملقب بأبو الأرز الهجين، وبإمكانك أن تصبح مستقبلا «أبو القمح».

ثم فاحمر وجهه وقال بتبرد: لا أجرو على ذلك، لا أجرو، بل وليس هناك وجه للمقارنة بينى وبينه، فانا أقل منه بكثير.

استسلمت لوه تشيواي حينها لخيالها الواسع، وغرقت فى التفكير فى أن حبيبها وزوجها المستقبلى سيصبح «أبو القمح» فى الصين، فما أسعد حظها به! ثم أهدته نظرة مليئة بالود وقالت بصوت مرتفع:

ولماذا لا إذا أردت العمل، فلنعمل على أن تكون الأفضل على الإطلاق، لتكون «أبو القمح».

فى الصين مستقبلا، لماذا تعوزك الجرة فى الاعتراف بذلك؟

فاختار لى دالين الصمت، بل وأخفض رأسه. فظنت لوه تشيواي أن هذا تواضعا منه، فهو إنسان متواضع جدا، وهذا ما أعجبها فيه.

وبعد دخولهما حفل القمح، كانت لوه تساعده وتمد له الملاقط حيناً، وتقرب منه معدات التلقيح حيناً آخر، وخلال ذلك كانت أيديهما تتلاصق بين الحين والحين، فيغلبهما شعور وكأنهما تعرضا لصدمة كهربائية، حينذاك تملك لوه شعور غريب يصعب وصفه بالكلمات.

وفى ذلك اليوم، لم يكن بالحقل سواهما. وكانت الشمس مشرقة وسط غيوم تنهادر فى صفحة السماء.

وصادف ذلك موسم تفتح نباتات القمح، والهواء مشبع برائحة ذكية تحمل أنفاس التزاوج بين النباتات. فسألت لوه تشيواي: أهو. تابعت: وهل تعجبك تنورتى؟

أجاب: أوه. فقالت: إما أن تقول جميلة أو غير ذلك، ما هذا التآوه فقال: «جميلة جميلة جداً».

وفى تلك الليلة، لم تغادر لوه البلدة، وأقامت بمعهد البحوث الزراعية.

والتمز لى دالين بالتعامل مع الموقف بحذر، ورتب لها الإقامة بغرفة كانت تسكنها عاملة قامت بإجازة الليلة.

وبما أنه كان يعلم أنها ابنة أستاذ جامعى، وأنها حريصة على النظافة، فقد اشترى لها خصيصا طست جديداً لغسل الوجه وصابونة برائحة ومنشفة وغيرها من اللوازم الشخصية. بيد أنها جاءت عند التاسعة مساءً، وقالت بوجه محمر: لن أبقي بهذه الغرفة لحظة واحدة، الفراش رائحته كريهة.

فاخذ لى دالين يحرق فيها مذهولا، وهو لا يدري ماذا يقول لها. بينما ألقت هى بنفسها فوق المقعد وقالت بصوت خفيض: ما رأيك أن نتحدث سويا، واقضتى ليلتى هنا معك؟ فالتفت لى إلى الخلف حيث سرير يتسع لشخص واحد، ثم خفق قلبه بشدة. وتابعت هى قائلا: يا لها من ليلة هائلة!

فقال: نعم هى ليلة هائلة.

انصبت إلى قلب الليل النابض، غناء الحشرات الليلية، وخفقان القلوب، وهى تحصى النجوم نجمة نجمة، والنجوم تحصى خفقان القلوب.. هل تعرف لمن هذه الأبيات؟

فرد: لا أعرف فقالت: أنا

أبيات جميلة؟

أحقا جميلة؟

نعم، جميلة.

فسألت: وهل أنت من هذه البلدة؟

نعم، على مسافة تسعة كيلومترات من مركز المدينة.

وممن تتكون أسرتك؟

أمى رحلت، وبقى والدى.

وكيف صحته؟

بخير، فقط قدماء ليستا على ما يرام.

ولم لا تعالجه؟ سأبحث له عن طبيب، لنأخذه إلى عاصمة المقاطعة للعلاج.

ركبته مصابة بالبرد المزمن، ومع تقدم سنه أصبح من الصعب علاجه.

وهل تحرص على زيارته؟

فهز لى دالين رأسه وقال: ليس كثيرا، أزوره فى الأعياد والمناسبات فقط.

واصل الحديث، حتى بدأت لوه تشيواي تشعر ببعض التعب، فأراحت جسدها على كتفه، ثم قالت بصوت رقيق: هل اغتسلت؟ هيا أذهب لغتسل.

ثم جلسا على حافة السرير، واقتربت منه أكثر فأكثر، وقالت بصوتها الرقيق: احضنى، مسموح بالحضن فقط.

طوقها لى دالين بذراعيه بخجل، حتى بدا كالدُّب

الأبله، بينما يشعر بداخله بشيء من التردد والخوف.

أما لوه تشيواي فاقتربت منه بجرأة وهدهو، تعانقا وإن التزم كلامهما بالتحفظ، ولم يدم العناق طويلا. أخذت تعدل ثيابها ثم قالت: سألقى عليك أبياتا من قصيدة.

ثم بدأت تلقى عليه أبياتا من قصيدة للشاعر الروسى بوشكين:

ما زلت أذكر تلك اللحظة الرائعة

حين ظهرت أمامى

مثل بشارة وأمضة

مثل طيف يشع جمالا

قلبي يخفق بوله شديد

والشوق فى أعماقى

والحياة، والحب

ما إن انتهت حتى سألته: هل أعجبتك؟

«جميلة، حقاً جميلة».

ثم تابعت لوه تشيواي: بعد انشغالك طوال اليوم، لتتم أنت فوق السرير، وأنا يكفينى الاتكاء.

بل تفامين أنتِ فوق السرير، وأنا سأبحث عن مكان آخر.

الوقت متأخر الآن، لا داعى لإزعاج الآخرين، لننكئ قليلا.

استندا إلى بعضهما البعض، وظلا متقاربين ومتداعبين، هكذا حتى غلبهما النعاس وهما متكئان على السرير. وفى تلك الليلة، وفوق ذلك السرير الذى يتسع لشخص واحد، كان لى دالين يحتضن لوه تشيواي على استحياء، وهو يشعر بأنه يحتضن ثمرة من الجنة.

بينما يردد فى نفسه: ما أجمله من حضن!

وعندما انصصف الليل، لف الصمت المكان، ولم يُسمع سوى همس الحشرات خارج الغرفة. ثم غفت لوه تشيواي وهى تستند إلى ذراعه، بينما خاصم النوم جفنى لى دالين. وكان ضوء القمر يتسلل عبر النافذة، رقيقا كالمرآة المائية. وتحت ضوء القمر الخافت، أراح لى دالين الغطاء برقيق، واستدار نحوها. وأخذ يتنفس عبير شعرها ودفء أنفاسها، وملامحها الهادئة، ثم أخذ يتأمل جسدها من أعلى إلى أسفل، حيث وجهها الأبيض الناصع وعنقها الرقيق، شديها النافر وقدميها الرشيقتين.. ثم راح يتأملها مرارا وتكرارا، حتى خيل إليه أنه يعيش حالة من النشوة لا عهد له بها.

وبعد زواجهما، سألها لى دالين بشيء من عدم الثقة، ما الذى أعجبها فيه؟ وهو لم يكن حينها سوى ابن قلاح بسيط، فما الذى أعجبها فيه؟ ففكرت لوه تشيواي قليلا ثم قالت بجديّة:

بريق عينيك.

وفى حقيقة الأمر، لم يكن هذا كل ما أعجبها فيه.



وأخذ

يتنفس

عبير

شعرها

ودفء

أنفاسها

وملامحها

الهائلة



لى بى فو



استسلمت

لوه تشيواي

حينها

لخيالها

الواسع

وغرقت فى

التفكير فى

أن حبيبها

وزوجها

المستقبلى

سيصبح

«أبو

القمح»



جزء من

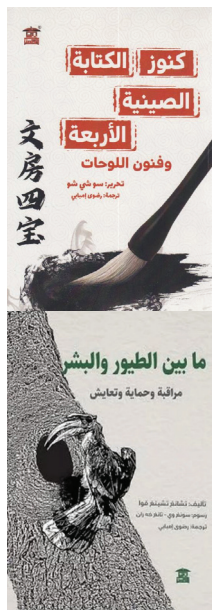
رواية «أجنحة

جبل التين»



رضوى إمبابي:

وجدت طفولتي في رواية «يوميات طفل يقرأ»



المترجم
عن الصينية
يجب أن
يكون باحثًا
ماهرًا قبل
أن يكون
مترجمًا



وتاريخها، واكتشفت أنها تشير إلى أدوات الكتابة التقليدية الأربع: الفرشاة والورق والحبر والمخبر. كما كنت أتوقف كثيرًا في أثناء الترجمة لإضافة حواشي عند الحاجة لتوضيح بعض العناصر الثقافية للقارئ العربي. لذلك أرى أن دور المترجم لا يقتصر على نقل النص، بل يشمل أيضًا البحث والتدقيق والتعريف بالثقافة التي ينقلها. هناك كلمات وتعبيرات وصور في الأدب الصيني تحمل وراءها إشارات تاريخية أو أدبية يعرفها القارئ الصيني تلقائيًا، بينما قد تمر على القارئ العربي بلا معنى. عندما تواجهك هذه الإحالات، أين تضعين الحد بين الترجمة والتفسير؟ وهل ترين أن الحاشية تنفذ المعنى أم تقتل متعة الأدب؟ كثيرًا ما واجهت مثل هذه الحالات، خاصة عند ترجمة الأمثال. فهناك أمثال صينية إذا ترجمناها حرفيًا قد لا يفهمها القارئ العربي. فمثلًا، هناك مثل صيني يُترجم حرفيًا إلى: «يبحث عن عظمة في البيض»، وهي عبارة قد تبدو للقارئ العربي بلا معنى، بينما يقابلها في العامية المصرية تعبير «يبطع فيه القطط الفطسة».

في مثل هذه الحالات، ألجأ إلى الحاشية، فأوضح المعنى المقصود وأذكر التعبير الذي يقابله في لغتنا، وبذلك أحافظ على المعنى والثقافة الصينية، وفي الوقت نفسه أقرب الفكرة إلى القارئ العربي.

ولا أرى أن الحاشية تنتقص من المعنى أو تفقد النص متعته، بل على العكس، أعتقد أنها تزيد وضوحًا، وتمنح القارئ فرصة لاكتشاف الاختلافات الثقافية والاستمتاع بها، مع الحفاظ على خصوصية النص الصيني.

■ **تنتمين لجيل جديد من المترجمين المصريين عن الصينية، في وقت يتزايد فيه حضور الصين عربيًا، لكن الأدب الصيني لا يزال أقل حضورًا من الأدب الإنجليزي والفرنسي.. هل المشكلة في قلة المترجمين القادرين على نقل الأدب الصيني، أم في دور النشر، أم في ذائقة القارئ العربي؟**

– لا أعتقد أن الأدب الصيني أصبح أقل حضورًا، بل على العكس، أشعر أن حضوره في العالم العربي يزداد ويتطور مع الوقت. فمع تنامي التقارب الاقتصادي والسياسي بين الصين والدول العربية، أصبح الناس أكثر اهتمامًا بالصين وثقافتها وأدبها، وأصبح هناك شغف أكبر بالتعرف إليها. أرى أن دور النشر لها دور مهم في هذا التطور، فبيت الحكمة، على سبيل المثال، حاضرة بقوة في معارض الكتاب المختلفة بالدول العربية، وتسهم في تقديم الأدب والثقافة الصينية إلى القراء العرب. كما بدأ يظهر عدد متزايد من المترجمين المتميزين في هذا المجال، ولذلك أعتقد أننا سنشهد في السنوات المقبلة حضورًا أقوى وأكثر انتشارًا للأدب الصيني في العالم العربي.

أننى أرى جزءًا من طفولتي في هذا الطفل، وهذا القرب الشخصي من تجربته ساعدنى كثيرًا على فهم مشاعره والتعبير عنها أثناء الترجمة. ■ **حصلت ترجماتك ليوميات طفل يقرأ على جائزة أفضل كتاب مترجم للطفل في معرض القاهرة، وترجمة أدب الطفل تبدو في ظاهرها أسهل من ترجمة الأدب للكبار، لكنها في الحقيقة تفرض قيودًا أكبر على اللغة والإيقاع والصورة.. كيف تتترجمين نصًا صينيًا إلى طفل عربي من دون أن تشرحي له الثقافة بدلًا من أن تتركه يكتشفها؟**

– كما ذكرت من قبل، عندما يطلع القارئ العربي على الأدب الصيني، يمكنه أن يشعر بقربه من الأحداث والشخصيات، حتى وإن كانت تدور في بيئة وثقافة مختلفتين. فعلى سبيل المثال، «كاي»، بطل رواية «يوميات طفل يقرأ»، طفل عاش مع جده بسبب سفر والديه للعمل، وهي تجربة يعيشها كثير من الأطفال في مختلف أنحاء العالم. كذلك، فإن علاقته بكبلة الصغير وافتقاده لوالده الذي يغيب عنه طوال العام، كلها مشاعر وتجارب يمكن لأي طفل أن يجد شيئًا منها في حياته الخاصة.

لذلك، عندما يقرأ طفل من تجربة مشابهة عن «كاي كاي»، فمن الطبيعي أن يشعر بقرب الحكاية منه، وربما يرى جزءًا من قصته الشخصية في أحداث الرواية، وهذا ما يجعله أكثر ارتباطًا بالشخصيات ومتابعةً لأحداثها بشغف.

في الوقت نفسه، تقدم الرواية للقارئ بعض الخصائص المميزة للمجتمع والثقافة الصينية، مثل اجتماع أفراد الأسرة خلال عيد الربيع، والرموز الصينية التي يتعلم الطفل كتابتها. هنا تكمن متعة الأدب المترجم بالنسبة لي، فالقارئ يكتشف من خلال الرواية جوانب جديدة من ثقافة مختلفة، وفي الوقت نفسه يجد مشاعر وتجارب إنسانية مألوفة وقريبة من حياته الشخصية. وهذا المزيج بين اكتشاف الجديد والشعور بالألفة، في رأيي، أحد أهم عناصر قوة الأدب في التقريب بين الثقافات. الصين حاضرة في أعمالك ليس فقط من خلال الحكايات، وإنما في الذاكرة والتاريخ والفنون والطبيعة، كما في «نهر اليانغتسي»، وكنوز الكتابة الصينية الأربعة، وفنون اللوحات.. هل تشعرين أن المترجم من الصينية مضطر لأن يكون «باحثًا»، قبل أن يكون مترجمًا؟

بالطبع، أرى أن المترجم ينبغي أن يكون باحثًا ماهرًا، لأن عليه أن يتحقق من المعلومات ويميز بين الصحيح والخاطئ، خاصة عند ترجمة الكتب الثقافية. عند ترجمة أي كتاب، أبدأ بالبحث عن الكتاب وأهم أعماله والجوائز التي حصل عليها، ثم أبحث في الموضوعات التي يتناولها الكتاب. مثلًا، خلال ترجمتي لكتاب «كنوز الكتابة الصينية الأربعة»، بحثت عن المقصود بهذه الكنوز

هل يمكن للمترجم أن يجعل النص قريبًا من القارئ العربي من دون أن يفقد «صينيته»؟

.. أعتقد أن هذا من أهم التحديات في الترجمة الأدبية. أحاول أن أنقل الأحداث والشخصيات والعناصر الثقافية كما هي، وألا أفرض عليها الطابع العربي لمجرد جعلها مألوفة للقارئ. في المقابل، إذا ظهر عنصر ثقافي قد يصعب على القارئ فهمه، يمكن توضيحه في الحاشية عند الحاجة. وبهذه الطريقة، يظل النص محتفظًا بخصوصيته الصينية، وفي الوقت نفسه يستطيع القارئ العربي فهمه والتفاعل معه والشعور بقربه من الشخصيات والأحداث.



رضوى إمبابي

■ **هل الانتقال من ترجمة الحوار إلى ترجمة العالم الداخلي للشخصيات غير طريقة تفكيرك كمترجمة؟**

– نعم، أعتقد أن هذا غير كثيرًا من طريقة تفكيرى في الترجمة. في البداية، لم أكن أظن أن هناك فرقًا كبيرًا بين الترجمة الأدبية والترجمة الدرامية، وكنت أعتقد أن كليهما يعتمد على نقل المعنى والأسلوب. لكن عندما أصبحت الترجمة الأدبية جزءًا أساسيًا من تخصصي، خاصة بعد دراستي لتحليل الشخصيات خلال مرحلة الماجستير وتعمقي أكثر في الأدب، بدأت لاحظ أن لكل نوع متطلباته.

أدركت أن المترجم الأدبي لا يترجم الكلمات فقط، بل يحتاج إلى فهم الشخصيات، وأساليب الكتاب، والسياق الثقافي، وطريقة بناء المشاهد والأحداث، ثم نقل كل ذلك بطريقة طبيعية ومؤثرة في اللغة العربية. وهذا جعلني أنظر إلى الترجمة الأدبية بشكل مختلف تمامًا، وأصبحت أكثر وعيًا بالتفاصيل التي يجب أن أنتبه إليها خلال الترجمة. ■ **في «اختفاء الأنسة تشن جين فانج»، نحن أمام فتاة تحاول الخروج من الفقر وتحقيق ذاتها، وهي «قيمة» يمكن أن تبدو عالمية، لكن تفاصيلها شديدة الارتباط بالمجتمع الصيني. كيف تميزين أثناء الترجمة بين ما هو إنساني**

■ **مشارك وما هو نابع من خصوصية المجتمع الصيني؟**

– في الواقع، أرى أن المجتمع الصيني زاخر جدًا بالقيم والمبادئ الإنسانية التي يمكن أن يتفاعل معها أي شخص في العالم. كما أن هناك أوجه تشابه كثيرة بينه وبين المجتمعات العربية. على سبيل المثال، تقدير العائلة ومكانة الوالدين من السمات الواضحة في المجتمعات الصينية، وهذا يظهر كثيرًا في الروايات والمسلسلات الصينية، وهو أمر قريب جدًا من مجتمعنا العربي. لذلك يشعر القارئ العربي أحيانًا بهذا التشابه، رغم اختلاف البيئة والثقافة. من وجهة نظري كمترجمة، هذا يجعلني أشعر بأن النفس البشرية واحدة في النهاية، بغض النظر عن اختلاف الثقافات. فنحن نواجه تحديات وآلامًا ومشاعر متشابهة، وما يؤلم

■ **بدأت ترجمة المسلسلات، ثم انتقلت إلى الأدب، وكانت رواية «اختفاء الأنسة تشن جين فانج» بداية مهمة في تجربتك الأدبية. ما الذي وجدته في الأدب الصيني ولم تجديه في الترجمة الدرامية؟**

– تختلف ترجمة الأدب عن الترجمة الدرامية من ناحية الوصف، ففي الرواية تصف للقارئ المشهد، والبيئة المحيطة به، وصفات الشخصية وهيئتها، ويكون للراوي، الذي غالبًا ما يكون هو الكاتب، حضور قوي. ويكون من الشخصيات الرئيسية.

مثلًا، في كتاب أدب الرحلات الذي ترجمته للكاتبة الصينية جيا تشي هونغ، بعنوان «الناس في إفريقيا»، تحكى عن تجربتها الشخصية عندما سافرت في رحلة عمل إلى جنوب إفريقيا، وتسلط الضوء على الاختلاف الثقافي الذي وجدته هناك، وكيف ترك أثرًا كبيرًا فيها.

هنا ركزت الكاتبة على وصف الشخصيات والتحديات التي تواجهها، كما وصفت البيئة والمناخ والحياة. وكان على أن أبحث أولاً عن الكاتبة لأعرف أسلوبها في السرد وأعمالها، وما حصلت عليه من جوائز.

أما في الترجمة الدرامية، فلا ننظر إلى كل هذا، فنحن نترجم الحوار فقط، ويكون كل شيء جاهرًا أمام المشاهد. عكس الرواية التي تركز على وصف المشاهد والمواقف لمساعدة القارئ على تخيل الأحداث.

■ **هل الانتقال من ترجمة الحوار إلى ترجمة العالم الداخلي للشخصيات غير طريقة تفكيرك كمترجمة؟**

– نعم، أعتقد أن هذا غير كثيرًا من طريقة تفكيرى في الترجمة. في البداية، لم أكن أظن أن هناك فرقًا كبيرًا بين الترجمة الأدبية والترجمة الدرامية، وكنت أعتقد أن كليهما يعتمد على نقل المعنى والأسلوب. لكن عندما أصبحت الترجمة الأدبية جزءًا أساسيًا من تخصصي، خاصة بعد دراستي لتحليل الشخصيات خلال مرحلة الماجستير وتعمقي أكثر في الأدب، بدأت لاحظ أن لكل نوع متطلباته.

أدركت أن المترجم الأدبي لا يترجم الكلمات فقط، بل يحتاج إلى فهم الشخصيات، وأساليب الكتاب، والسياق الثقافي، وطريقة بناء المشاهد والأحداث، ثم نقل كل ذلك بطريقة طبيعية ومؤثرة في اللغة العربية. وهذا جعلني أنظر إلى الترجمة الأدبية بشكل مختلف تمامًا، وأصبحت أكثر وعيًا بالتفاصيل التي يجب أن أنتبه إليها خلال الترجمة. ■ **في «اختفاء الأنسة تشن جين فانج»، نحن أمام فتاة تحاول الخروج من الفقر وتحقيق ذاتها، وهي «قيمة» يمكن أن تبدو عالمية، لكن تفاصيلها شديدة الارتباط بالمجتمع الصيني. كيف تميزين أثناء الترجمة بين ما هو إنساني**

أسعى دائمًا للحفاظ على «صينية» النص دون فرض الطابع العربى عليه

النفس البشرية واحدة وما يؤلم الإنسان الصيى يؤلم الإنسان العربى

المجتمع الصيى يزخر بقيم إنسانية قريبة من المجتمعات العربيه

يوميات طفل يقرأ

تأليف: منج شيان مينج

ترجمة: رضوى إمبابى

طفل يبلغ من العمر تسع سنوات، يعيش مع جده الذي تربطه به علاقة قوية، حيث يرعاه الجد ويصطحبه للمدرسة، بل ويقرأ له كل يوم. وكغيره من الأطفال، يتمرد الطفل كاي على جده أحياناً، ويتناقشان بوذ أحياناً، ويغضب كل منهما الآخر أحياناً، ويضحكان كثيراً، ويبكيان أيضاً معاً. في هذه الرواية يخوض كاي تجربة ممتعة مع القراءة، فالجد يقرأ له، وهو يقرأ لكلية الصغير، وتثنى عليه معلمته بالصف لبراعته ولباقته ومشاكساته اللطيفة. وهذه الرواية تجمع بين قيمتين كبيرتين، الأولى هي العلاقات الإنسانية الحميمة بين الأطفال وأبائهم وأجدادهم وأصدقائهم، بل وعلاقاتهم بالحيوانات أيضاً، أما القيمة الأخرى فهي القراءة، وتبرز الرواية كيف أن القراءة وسيلة للإمتاع والمعرفة على حد سواء.



«كاي كاي، أسرع يا كاي كاي!».

«هاى، رن صوت طفولى مشاغب دوى عاليًا من المنعطفين عند باب الفناء».

«لقد ذهب الجميع، وإن لم تخرج الآن ستأخر على المدرسة»، قالها الجد بقلق، ثم خرج من الفناء. مشى كاي كاي ببطء، يسبقه الجد دائماً وينتظره بالخارج.

لا يرى كاي كاي أنه يسير ببطء، حسبها لجدته وقال إن عشر دقائق كافية لكي ينهض وينذهب للمدرسة. عد كاي كاي على أصابع يده وقال: «دقيقة لأنفوس من السرير، ودقيقة أذهب للحمام، ودقيقة أغسل وجهي، ودقيقة أتناول الطعام، ألا تكفى ست دقائق للسير في طريق قصير من ميلين فقط من البيت إلى المدرسة؟»، فضحك الجد عاليًا حتى سعل وتعالث أنفاسه.

كان الجد قلقًا جدًا، أدار وجهه، صار على وشك الصراخ مرة أخرى. حمل كاي كاي ذو التسع سنوات حقيبته المدرسية على ظهره وخرج من الفناء وهو يقفز ويركض وينادى كلبه بصوت عالٍ: «شياو دان، شياو دان». كان كاي كاي يرتدى سترة مقفولة لونها أصفر كريمى وأحمر ترابي، والزر الأول من قميصه مفقود، وينطاله أزرق فاتح وسخاينه مفتوح، وعروات الحزام تالفة، حتى صارت العروتان عمرة واحدة، بحيث يحتاج لرفع البنطال من وقت لآخر في أثناء ركضه.

ركض جرو صغير ملؤن خلف كاي كاي، وعضنه عضنة خفيفة بحب في ساقه. رفع الجد يده وقبض على يد حفيده، وصرخ عاليًا ليحثه: «أتريد أن تتأخر؟».

ترك كاي كاي يد الجد بحمق، وقال: «دعنى أذهب وحدي يا جدي، أستطيع الذهاب وحدي». يبلغ كاي كاي تسع سنوات، ويسير بخطوات أسرع من الجد، ومرافقة جده تؤخره دائماً!

لم يهتم الجد لكلامه، وأمسك بيده مرة أخرى. «أصبحت في الصف الثالث، وتريد مرافقتي إلى المدرسة؟ إلى متى سترافقتي؟»، وسار كاي كاي بوجه عابس.

بدا الأسف على وجه الجد وكأنه عجز عن إيجاد سبب منطقي، فقال: «بعد انتهاء هذا الفصل الدراسي سيأتي عيد رأس السنة، وحينها سأدعك تذهب للمدرسة وحدك، أيعجبك هذا؟»، لكن كاي كاي لم يقبل ما قاله جده، بل ظل يحدق فيه بعينيه الواسعتين قائلاً: «لماذا؟ لماذا على أن أنتظر حتى رأس السنة؟».

توقف الجد، ونظر إلى حفيده وقال بحزم: «لا يمكن أن أجعل والدك اللذين ذهبا للعمل في المدينة يطلقان بشأنك! فضلاً عن شكواهما بأننى لا أعتنى بك جيداً! سيعودان في عيد رأس السنة وسأخبرهما بهذا الأمر».

«هممم، أطلق كاي كاي زفيراً مبالغاً فيه، واتبع الجد بأدب».

ذهب كل التلاميذ إلى مدارسهم الآن، وعلى الرغم من قرب المدرسة من البيت، فإن السيارات كثيرة جداً، وأباء الأطفال يعملون في المدينة ويتركونهم لأجدادهم.. لأبيهم أو لأُمهم، إن جاع الطفل أو اصطدم بشيء لا يخران أبويه، فكيف سيخبرهما الجد بأن هذا الطفل المشاغب يسخر منه؟!



وئخت المعلمة كاي كاي، وسألته: «هل زعلت لأنى وئختك على ما فعلت؟».

قال كاي كاي: «لا».

فقالت المعلمة: «وهل ستعدل سلوكك فيما بعد؟»، قال كاي كاي: «أجل»، فضحكت المعلمة قائلة: «فلتصنّفوا جميعاً لتشجيع زميلكم كاي كاي على شجاعته لتصليح خطئه!».

صنّف الاثنان وثلاثون تلميذاً بالفصل، ما عدا كاي كاي، فقد بكى، وتأثرت المعلمة ببكائه، فقالت: «كاي كاي تلميذ جيد، ندم من قلبه على خطئه، وتأثر كثيراً بتشجيع الجميع له، اجلس يا كاي كاي، أنا حقاً فخورة بك!».

المعلمة مخطئة، لم يكن كاي كاي يبكي لأنه نادماً أو متأثر بتشجيع زملائه له، بل لأنه حزين على شياو دان. حين ذهب إلى المهرجان مع جده منذ ثلاثة أيام، قابل في الطريق كلباً ضالاً جباناً جداً، كلما رأى أحداً انكمش ولم ذيله، ف شعر كاي كاي بالعطف عليه، وأصر أن يأخذ الكلب، وسماه «دا دان»، تشجيعاً له حتى يتحلى بالجرأة، ولكن دا دان كان في واقع الأمر جباناً جداً، بلّم ذيله كلما سمع أحداً يدب على الأرض، وينظر إليك في دَل وخضوع. أكثر ما يغضبك أنه كلما ناداه بددا دان، ضايقه الآخرون أكثر، وصار جباناً أكثر وأكثر، ما أفقد كاي كاي ماء وجهه وأزعجه، وفي النهاية سمّاه «شياو دان»، هممم، مناداته بشياو





لم يأت
هذا
الكلب
الكبير
ليستمع
إلى
الدرس،
بل أتى
من أجل
«شياو
دان»

أكثر ما
يميز
المعلمة
وانج أنها
تشرح
تطور
العلوم
والأخلاق
الحميدة



قضية يسعل، ولكن أكثر ما كان يزعجه حين لا يريد الصغير النوم ليلاً والذهاب للعب مع الأطفال الكبار. إنه لا يريد منع حفيده من اللعب، فالتعب طبيعة الأطفال، هل يمكن أن يفعل عن هذا؟ ولكنه يخشى أن يسخر منه الأطفال الكبار. حين لا ينام كاي كاي لا يستطيع الجد النوم أيضاً، وإذا ركض بجنون للخارج يركض خلفه في الشارع، يا له من أمر متعب! لذا فحين يجد وقتاً يتمدد مسرعاً على السرير ليُدخِر قوته ويستطيع التعامل مع الصغير المليء بالنشاط والحيوية. خرج كاي كاي راكضاً من الفناء، والجد يزحف بحذائه مسرعاً ليلحق به. جمع جارهما «تشون» ثروة هائلة من بيع الهدايا والمنتجات الصغيرة بالجملة في المدينة، ويقال إنه يحب فتاة هناك وقد أرسلته بهذه السيارة لينقل بعض الأثاث، وحين وقف كاي كاي فجأة، صرخ من يحمل الأثاث في وجهه لأنه يعطله، فحزن كاي كاي، ثم أدار وجهه وركض إلى بيت يانتز. استطاع الجد اللحاق به، وحين راه دخل بيت يانتز، ضحك واطمان قلبه، وعاد إلى المنزل. دخل كاي كاي منزل يانتز راكضاً وهو يقول: «يانتز، يانتز». كان التلفاز يعرض فيلم رسوم متحركة للأطفال عبارة عن فم كبير مفتوح يتحدث عن فوائد غسل الأسنان، بينما جلست يانتز البالغة من العمر ست سنوات على الأريكة مائلة وأخذت تضحك وتقرقع. «ما هذا؟»، خطف كاي كاي جهاز التحكم عن بعد منها، وقال: «سأجلب لك ما هو أفضل»، فلم توافق يانتز، وقالت: «بل أحب مشاهدة هذا، أحب مشاهدة هذا»، فسمع كاي كاي لها، ونقر في الحال على زر جهاز التحكم عن بعد. أمرته يانتز بعجرفة وتكبُّر: «أعده لي، أعده لي»، ولكن كاي كاي لم يُعِرها اهتماماً. وأخذ يُقلب في قنوات التلفاز، ففرت يانتز لتخطف جهاز التحكم عن بُعد، بينما ظل كاي كاي يهرب منها في الغرفة كلها، يركض وهو يُقلب في قنوات التلفاز، حتى بكت بصورة مبالغ فيها، بكت وصرخت قائلة: «عُد وشاهد التلفاز في بيتك، عُد وشاهد التلفاز في بيتك»، كانت جدة يانتز لأمها تغسل الصحون، سمعت صوت بكائها وهي تستنجد بها، فأسرعت إليهما دون أن تجفف يديها من الماء، وصرخت في كاي كاي قائلة: «كاي كاي، إنه بيتنا، إن أردت مشاهدة التلفاز فلنشاهده برفقة يانتز، وإن لم يعجبك ذلك فلنذهب لمشاهدة التلفاز في بيتك، مفهوم؟». لم يركض كاي كاي، بينما استغلت يانتز الفرصة وخطفت جهاز التحكم، وأعادت القناة التي تعرض «فوائد غسل الأسنان»، وأخذت تشاهدها وتضحك عالياً. «لتخبر جدك أن يدفع المال فوراً»، قالتها جدة يانتز، ثم أدارت وجهها وذهبت لاستكمال غسل الصحون. وقف كاي كاي قليلاً بوجهٍ بدت عليه الوحدة، ثم خرج من بيت يانتز.

كاي أن عائلته لم تدفع فاتورة التلفاز الشهرية التي تبلغ عشرين كواي. كان الجد ممدداً على السرير يأخذ قيلولته، سعل وضاقت عيناه وقال: «لقد قال المعلم إن مشاهدة التلفاز تؤثر على الدراسة». «همم، يكره كاي كاي سماع مثل هذه الكلمات من الجد، فقال: «أعرف أنك لا تريد دفع الفاتورة، وتريد إنفاق المال لشراء الدواء فقط..» استغفر كلام الصبي الجد الجالس بالفرقة، ففتح عينيه وانفجرت الدموع منهما، وقال بصوت عالٍ: «أيها الطفل الأحمق، أن جدك مريض، هل يوجد شخص في الدنيا لا يحب التسلى ويريد تناول الدواء المر..» يعلم كاي كاي أن الجد لا يكذب، وأنه مصاب بمرض القلب الرئوي، يقول إنه سقط في النهر الكبير حين كان شاباً في أثناء عمليات الحضر. يكون الجو قارس البرودة عند درجة الحرارة تسعة، فما بالك حين تلمطر السماء للجا تراه من بعيد ماء، ولكن ما يسقط على جسده ثلج. أراد الفريق إنهاء العمل في الوقت المحدد، فخلع سكرتير الحزب بالقريبة نطاله البطن بالقطن، وكان أول من قفز في المياه العميقة ساقبيه الرفيعتين، لم يستطع أحد من بقية الفريق أن يقول شيئاً، بل تبعوه وقفزوا هم أيضاً في المياه. انتهى العمل بالنهر الكبير في الوقت المحدد من ذلك العام، ولكن الجد أصيب بمرض خطير، كان يسعل كثيراً، ويوجد صعوبة في التنفس كل ليلة. تناول أدوية كثيرة، ولكن بلا فائدة، يقول الجد إنه مريض منذ ثلاثين عاماً، حسبها كاي كاي فوجد أن هذه الفترة تعادل عمره ثلاث مرات، فثلاثة في تسعة تساوي سبعة وعشرين، وأربعة في تسعة ستة وثلاثين. اثني معلم الرياضيات من قبل على غناء كاي كاي أغنية جدول الضرب، فقال: «يقوله بتلقائية جميلة وصوت رائع». رَمَ كاي كاي شفتيه وجلس على الأريكة، الأصوات في الشارع تقتحم الغرفة، ترتفع أحياناً وتنخفض أخرى، ثم سمع فجأة صوت بوق سيارة أثار ضوؤها الباهر ظلام الفناء، فوقف كاي كاي، وألقى بجهاز التحكم عن بُعد، ثم نظر إلى الغرفة الداخلية وصرخ قائلاً: «سأذهب إلى بيت يانتز لمشاهدة التلفاز»، وقفز خارج المنزل. «كاي كاي، كاي كاي»، ليس الجد حذاه مسرعاً، فقد سمع هو أيضاً صوت بوق السيارة بالخارج. ذهب ابنه وزوجته للعمل بالمدينة وتركوا له رعاية كاي كاي وهو لم يكمل الخمس سنوات بعد، ومن أجل الحفيد صار الجد مع الأيام طفلاً صغيراً، فإن أراد كاي كاي الركض في سباق يركض خلفه مسرعاً رغم أنه يسعل في كل مرة، وإن أراد سماع حكاية يظل بعصر مخه من التفكير حتى يشعر بالصداع، وإذا أراد تناول الأيس كريم يتناوله معه خوفاً من جرح مشاعر الصغير، رغم أنه مع كل

عن السؤال التالي: لماذا كان الملك يوه جوجيان يتناول قطعة من المراتة قبل كل وجبة؟. رمش كاي كاي بعينه، هو لا يعرف لماذا كان الملك يوه جوجيان يتناول قطعة من المراتة قبل كل وجبة، ولا يفهم ما المراتة. كان كل تركيزه مع شياو دان، ولم يستمع إلى أي كلمة من شرح المعلمة. همس له زميله تيان تشاو الذي يجلس بجانبه في هدوء، قائلاً: «الحم، اللحم»، فآلمهم كاي كاي، وقال: «لأن المراتة من اللحم، وملك دولة يوه ملك كبير، لا بد من أن يأكل اللحم قبل كل وجبة»، فضحك التلاميذ عالياً. تناولت المعلمة نفسها ولم تضحك، وسألته سؤالاً آخر: «مذاق لحم المراتة حلو أم مُر؟»، همس تيان تشاو له من ناحية قائلاً: «حلو، حلو»، بينما همس تشاو دونغ شانغ من الناحية الأخرى قائلاً: «مر، مر..». فهم كاي كاي لماذا يضحك التلاميذ، فحاذر أن يقع في الفخ مرة أخرى، فحذر جسده ووقف مستقيماً، وأجاب بثقة قائلاً: «مذاقها ليس بحلو ولا مر، بل إن المراتة لحم واللحم شهى»، تطوَح التلاميذ يميناً ويساراً من الضحك، ولم يجلس تلميذ واحد منضبطاً. وهنا ضحكت المعلمة ولم تكمل شرح الدرس. أكثر ما يميز المعلمة وانغ أنها منذ الماضي وحتى الآن وستظل في المستقبل، تشرح تطور العلوم والأخلاق الحميدة، وتحدث عن أمالها الكبيرة تجاه تلاميذها، لا تظن أن هذا هو المقصد، فهي تشرح سبب كل شيء، وإذا سعت شرحها ستزول الدموع من عينيك. إن المعلمة وانغ معلمة جيدة، ذهبت من قبل إلى المدينة وتدرّبت على التكنيد، ولم تُهن أي تلميذ قط، تقول إنه كان بإمكانها أن تظل في المدينة، فلمماذا عادت للتدريس في القرية؟ لأنها كانت من أطفال القرية، وتعرف جيداً مدى صعوبة الدراسة عليهم، تعلم أن آباءهم من أبناء القرية أيضاً وذهبوا للعمل بالمدينة، وكان بإمكانها أن تمكث في الأخرى هناك، ولكنها تمسكت بالبقاء في القرية لتعليمك، وأنت لا تستمع لشرحها، تخذل من بفعلك هذا؟ أريد كاي كاي أن يخذل معلمته؟ كلا، ولكن ماذا يفعل مع شياو دان؟ تتعارض رعايته شياو دان مع كلام المعلمة، فماذا يفعل كاي كاي؟ مسح دموعه وجلس في هدوء.



دان، أمّة أكثر. حين ذهب كاي كاي إلى المدرسة تبعه «شياو دان»، وقد تعرّض لتوبيخ المعلمة في ذلك اليوم بسببه. درس اليوم هو قصة المثل الصيني «نام على الحطب وأكل المراتة»، ما إن فتحت المعلمة الكتاب وقالت: «سندرس اليوم الدرس الثالث عشر»، حتى دخل كلب كبير إلى فناء المدرسة. لم يأت هذا الكلب الكبير ليستمع إلى الدرس، بل أتى من أجل «شياو دان»، توجه كاي كاي نحوه واطهر قوّته أمامه، ففزع شياو دان وقلّص جسده كالكرة، وظلّ يئنّ في ياس. حملت المعلمة الكتاب بين يديها وأخذت تقرأ النص بتركيز تام: «منذ ألفي عام كانت هناك دولتان على نهر اليانغتسي، دولة وو ودولة يوه، أزدت كل دولة السيطرة على الأخرى، وجعل نفسها أقوى....» كان كاي كاي يفكر في «شياو دان» منذ البداية، يستمع إلى الدرس قليلاً، ثم ينظر للخارج، ومن حسن حظه أنه يجلس في المقعد المجاور للنافذة، لم توبّخه المعلمة حين رآته ينظر إلى الخارج، فهو تلميذ جيد، ولم يكن مشاغباً أبداً من قبل. لمح كاي كاي الكلب الكبير حين دخل الفناء، وحين سمع صوته لم يستطع الصبر فوقف، بينما كانت المعلمة مندمجة مع القصة: «وبعدما عاد الملك يوه جوجيان إلى بلده، لم ينس أبداً شاره ورغبته في الانتقام.. علّق في غرفته قطعة مَرّة من المراتة، وكان يتجرّع مذاقها المر قبل كل وجبة..» الصق كاي كاي رأسه بالنافذة، وأشار لشياو دان، بيده، فتشجّع ونهض حين رأى صاحبه، فدُهِش الكلب الكبير، وأدار رأسه ونظر إلى الفصل بالخلف، فأشار له كاي كاي بيده متعجباً ليحذّره ألا يضايق «شياو دان». وكأنّ الكلب الكبير يعلم أن كاي كاي في الدرس الآن ولن يجرؤ على الخروج إليه، فآدار وجهه وعاد يهدده. رفع كاي كاي قبضة يده، ولم يمالك نفسه، فصرخ قائلاً: «سأضربك!»، فضحك جميع التلاميذ، فالضحك على مصيبة الآخرين هو طبيعة الأطفال، ولن يترك طفل فرصة للضحك على أحد، فتعمّدوا الضحك عالياً. أخرجت ضحكات التلاميذ المعلمة -التي كانت غارقة مع عصر الربيع والخريف بالقصة- من انهماجها، فترك الكتاب، وصرخت: «كاي كاي!»، رَدَّ عليها بارتباك قائلاً: «أجل»، نظرت إليه المعلمة وانغ بوجه صارم وقالت: «أجب

في السنوات الأخيرة، بدأت الترجمة عن اللغة الصينية تشق طريقها بصورة أكثر حضوراً إلى المشهد الثقافى العربى، فاتحة نوافذ جديدة على أدب الصين وفكرها وتجاربها الإنسانية. فى هذا السياق تأتى تجربة المترجمة الشابة منة الله عطية، التى اختارت الصينية منذ دراستها الجامعية، قبل أن تتحول علاقتها باللغة إلى مشروع مهيب فى الترجمة. تنوعت تجربتها بين أدب الطفل والنصوص الأدبية والكتب الفكرية والثقافية، إلى جانب الموضوعات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ومن بينها ترجمة كتاب، الحكمة الصينية، لروانج شو تشانج، والمشاركة فى ترجمة، الازدهار المشترك، وحكايات الخبراء الأجانب.. فى هذا الحوار مع، حرف، نتحدث منة الله عطية عن بدايات علاقتها بالصينية، وكواليس تجربتها فى نقل النصوص الصينية إلى العربية، والتحديات التى تفرضا الفوارق الثقافية والمصطلحات الفكرية، فضلاً عن خصوصية ترجمة أدب الطفل، ورؤيتها لدور الترجمة فى بناء جسور المعرفة والتواصل بين الثقافتين المصرية والصينية.

نضال ممدوح

منة الله عطية:

مؤلفات صينية كثيرة لم تحظ بالقدر الكافى من الاكتشاف عربياً

■ كيف بدأت علاقتك باللغة الصينية؟ ومتى تحولت دراسة اللغة إلى مشروع للترجمة؟

- بدأت علاقتى باللغة الصينية عندما التحقت بكلية اللسان، وجاء اختيارى لها بعد تفكير فى اللغات المتاحة أمامى لدراستها، يقع اختيارى على قسم اللغة الصينية، بعدما وجدت فى نفسى توقفاً إلى فهم رموزها، فلطالما كانت تثير فى نفسى شغفاً لفهم ما وراءها، والتعرف إلى ثقافة شعبها وتاريخه.

منذ ذلك الحين، بدأ عهدي بدراسة اللغة الصينية دراسة أكاديمية متخصصة، وبدأت معها علاقتى بالترجمة أيضاً. ففى الوقت الذى كنت أدرس الترجمة باعتبارها مقررًا دراسيًا فى الجامعة، حدثت النقلة النوعية فى طريقة تفكيرى وإدراكى لأهميتها، عندما بدأت أجد فى نفسى القدرة على الترجمة من الصينية إلى العربية بصورة أستسيغها، واستمتعت معها بقراءة النص العربى. حينها بدأت أشعر بأننى لا أنقل مجرد كلمات من لغة إلى أخرى، وإنما أنقل معنى ونصاً حياً يمكن أن يحدث تأثيراً فى نفس القارئ.

من هنا بدأت أمارس الترجمة كهواية، وأصبحت علاقتى بها تتجاوز كونها مجرد مقرر جامعى. ثم أخذت هذه العلاقة منحى مختلفاً تماماً فى عامى الجامعى الرابع، عندما قررت أن يكون مشروع تخرجى متعلقاً بالبحث فى إشكاليات الترجمة بين الصينية والعربية، مع تطبيق ذلك من خلال ترجمة كتب صينية بالاشتراك مع زملائى. كانت هذه التجربة نقطة مهمة فى مسيرتى، إذ جعلتني أشعر بصورة أعمق بمدى أهمية دور الترجمة، وبمدى المتعة التى أستشعرها عندما أترجم كتاباً من الصينية إلى العربية.

ثم تحولت دراستى لغة إلى مشروع للترجمة بعد تخرجى عام ٢٠٢٣، والعمل مترجمة فى مجموعة «بيت الحكمة للثقافة»، والتي كان لها دور هارق فى رحلتى مع الترجمة، فهى لم تنح لى فقط فرصة العمل فى المجال الذى أحبيته، وإنما منحتنى أيضاً فرصة لتحقيق حلم شخصى طالما راودنى، وهو أن أرى الكتب التى أترجمها منشورة وتحمل اسمى.

اعتز بشكل خاص بأن هذه التجربة كانت تحت إشراف الأستاذ عمرو مغيث، الذى أتاح لى فرصة مهمة لاكتساب خبرات حقيقية فى مجال الترجمة من خلال توجيهاته وإشرافه.

ولا يمكننى الحديث عن بداية شغفى بالترجمة من الصينية دون الإشارة إلى الأستاذ الدكتور أحمد السيد، فقد كان لقراءتى لكتبته ومؤلفاته دور كبير فى تشكيل هذا الشغف، سواء الأعمال المترجمة من الصينية، أو كتيبه ومؤلفاته التى تناولت الشأن الصينى. أفادتني هذه الكتب كثيراً، ووسعت مداركى، وساعدتني على التعرف إلى الصين وثقافتها بصورة أعمق، وكان لها أثر كبير فى

ما المشروع الذى تحلمين بترجمته من الصينية إلى العربية؟

- بالإضافة إلى الترجمة من الصينية إلى العربية أتمنى أن أسهم فى نقل الثقافة المصرية والعربية إلى الشعب الصيى من خلال ترجمة أعمال مصرية إلى الصينية.. ما يسهم فى تبادل حقيقى للثقافة بين الشعبين.



منة الله عطية

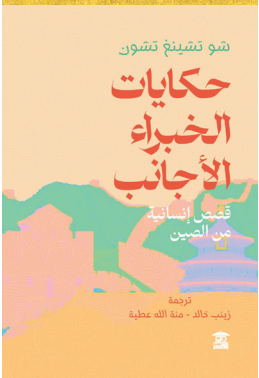
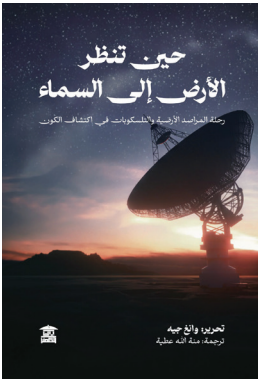
الصينية التى تستحق أن تصل إلى القارئ العربى، ومن خلال «بيت الحكمة»، تنوعت تجربتى بين ترجمة أدب الطفل، والنصوص الأدبية، والكتب الفكرية والثقافية، إلى جانب النصوص السياسية والاقتصادية والاجتماعية. هذا التنوع أتاح لى التعرف إلى أنماط مختلفة من الكتابة، واكتساب خبرة متنوعة فى التعامل مع كل نص بما يتناسب مع طبيعته وخصوصيته.

والآن ويعد التحاقى بالعمل الجامعى من خلال تدريس اللغة الصينية، لا تزال الترجمة هى المشروع الذى أسمى دائماً للتطور من خلاله، سواء أكاديمياً أو عملياً.

■ ما الذى جذبك تحديداً إلى ترجمة الكتب الصينية إلى العربية مقارنة باللغات الأخرى؟

- ما جعلنى أتمسك بالترجمة من الصينية إلى العربية هو أننى وجدت نفسى أمام مساحة واسعة من المؤلفات الصينية التى لم تحظ بالقدر الكافى من الاكتشاف فى اللغة العربية.

لا تزال اللغة الصينية، بما تزخر به من اتساع فى الأفكار والتجارب، تفتح أمامنا آفاقاً واسعة للمعرفة، فهناك الكثير من الأدب والفكر والتجارب الإنسانية



جداً فى هذه المرحلة، إذ كان يساعد فى الوصول إلى صياغة أكثر دقة واتساقاً. ■ ماذا أضافت لك تجربة الترجمة المشتركة فى «الازدهار المشترك» وحكايات الخبراء الأجانب... وهل تختلف آليات العمل الجماعى عن الترجمة الفردية؟

- أضافت لى الترجمة المشتركة خبرة مهمة جداً، لأنها علمتني أن الترجمة ليست دائماً عملاً فردياً مغلقاً، وإنما يمكن أن تكون تجربة قائمة على الحوار وتبادل الرؤى.

فى العمل الجماعى، لا يقتصر الأمر على ترجمة الجزء الموكل إلى كل مترجم، وإنما توجد مرحلة مهمة من المراجعة والمناقشة وتوحيد المصطلحات والأسلوب، بحيث يبدو الكتاب فى النهاية نصاً واحداً متماسكاً، لا مجموعة من النصوص المنفصلة.

أما فى الترجمة الفردية، فالمترجم يمتلك مساحة أكبر لاتخاذ قراراته بنفسه، لكنه يتحمل فى المقابل مسئولية أكبر عن كل اختيار لغوى وأسلوبى. لذلك أرى أن لكل تجربة طبيعتها وتحدياتها.

■ فى «حكايات الخبراء الأجانب» قصص إنسانية من الصين، كيف تعاملت مع نقل التفاصيل المرتبطة بالحياة اليومية والمجتمع الصينى دون أن تفقد روحها الأصيلة؟

- فى هذا النوع من النصوص، لا تكمن الصعوبة فى نقل المعنى اللغوى بقدر ما تكمن فى نقل الجو الذى يتحرك فيه النص. فعلى جانب، لكل شخصية أفكارها وانطباعاتها الخاصة عن الصين، وهو ما كان يجب نقله بما يعكس تجربة كل شخصية ورؤيتها. ومن جانب آخر، هناك تفاصيل الحياة اليومية والعلاقات الاجتماعية والعادات التى تمنح كل حكاية طابعها الخاص. ■ انتقلت فى ترجماتك من الكتب الفكرية إلى أدب الأطفال. ما الذى يتغير فى أدوات المترجم عندما يكون المتلقى طفلاً؟

- أعتقد أن أكثر ما يتغير فى ترجمة أدب الطفل هو الأسلوب، مع ضرورة تحزى الدقة. لأن بساطة اللغة لا تعنى بساطة العمل نفسه. فعندما يكون المتلقى طفلاً، يصبح على المترجم أن يفكر فى مستوى لغته، وفى قدرته على الفهم، وفى الإيقاع الذى يجذب انتباهه. لذلك أبذل جهدي لأن تكون اللغة واضحة وسهلة، ولكن من دون أن تصبح فقيرة أو تفقد جمالها.

■ ترجمت أعمالاً مثل «أمى مصففة شعر» وشجرة غريبة، وفوق قمة إيفرست... ما المعايير التى تحكم اختيار قصة صينية لتقدمها إلى الطفل العربى؟

- أعتقد أن أكثر ما يحكم هذا الاختيار هو أن تحمل القصة، فى المقام الأول، قيمة إنسانية يمكن أن تصل إلى الطفل العربى، حتى وإن كانت تنتمى إلى بيئة ثقافية مختلفة. وفى الوقت نفسه، لا بد أن تحمل قدرًا من المتعة والتشويق يجعل الطفل يُقبل على قراءتها بشغف. ■ ما أصعب ما واجهك أثناء ترجمة الأدب الصينى إلى العربية، اللغة.. أم اختلاف المرجعيات الثقافية، أم نقل الإيقاع والصور والتعبيرات؟

- لا يمكن حصر تلك الصعوبة فى جانب واحد، فالترجمة الأدبية من الصينية إلى العربية تجمع بين هذه التحديات جميعاً. لكننى أرى أن اختلاف المرجعيات الثقافية من أكثر الأمور التى تحتاج إلى وعى ودقة، لأن المترجم قد يفهم الجملة لغوياً، لكنه إذا لم يفهم خلفيتها الثقافية فقد ينقلها بصورة صحيحة من الناحية اللغوية، لكنها لا تؤدى المعنى نفسه للقارئ العربى.

هناك أيضاً تحدى نقل الإيقاع والصور والتعبيرات، فقد تكون هناك عبارة بسيطة فى ظاهرها، لكنها تحمل نبرة أو صورة أو إحساساً معيناً يصعب نقله حرفياً. هنا يحتاج المترجم أحياناً إلى أن يبتعد عن الحرفية، لا ليتبع عن النص، وإنما ليقرب من أثره وروحه. ولهذا أرى أن المترجم الأدبى يحتاج إلى أن يكون قارئاً جيداً قبل أن يكون مترجماً جيداً، لأن فهم الأدب، وحس اللغة، والقدرة على قراءة ما وراء الكلمات، كلها أمور أساسية فى عملية الترجمة.

■ هل ترين أن الترجمة من الصينية يمكن أن تصبح جسراً حقيقياً للتعريف بالثقافة الصينية بعيداً عن الصور النمطية والانطباعات الجاهزة عنها؟

- بالطبع، فالترجمة من أهم الجسور التى يمكن أن تفتح حواراً حقيقياً بين الثقافتين. فهى التى تمنح القارئ فرصة حقيقية لأن يتعرف على المجتمع الصينى من خلال أصواته وتجارب أفراد وكتّابه، وليس فقط من خلال الصور التى تقدمها وسائل الإعلام أو الانطباعات العامة.

تتعاطف أهمية الترجمة كونها تتيح لنا أن نرى الثقافة الصينية فى تنوعها، وأن نتعرف إلى الإنسان الصينى من خلال تفاصيل حياته وأفكاره ومشاعره وتجربته اليومية، بعيداً عن الصورة الواحدة أو الانطباع الجاهز.

■ فى رأيك ما القواسم المشتركة بين الحضارتين والشعبين فى مصر والصين؟

- رغم اختلاف السياقات التاريخية والجغرافية فهناك مساحات واسعة من التشابه بين الحضارتين والشعبين. فكلاهما ينتمى إلى حضارة عريقة تمتد جذورها إلى آلاف السنين، ويولى أهمية كبيرة للأسرة، واحترام الوالدين، والروابط الاجتماعية.

والعلاقات الإنسانية وتحمل المسئولية، بينما يقوم الفكر «الطاوى» على الانسجام والتوازن والتكيف مع الطبيعة والتغيرات. فيما أسهمت «البوذية» فى ترسيخ قيم تتعلق بالإنسان وسلوكه ونظرتة إلى الحياة، إلى جانب أفكار المدرسة القانونية حول القانون والسلطة.

ولا تقتصر الحكمة الصينية على هذه المدارس، بل تمتد إلى الفكر العسكرى والمنطق ومدرسة الين واليانج والعناصر الخمسة، وهو ما يعكس تنوع طرق الفكر الصينى فى فهم الإنسان والمجتمع والطبيعة وتنظيم الحياة.

من هنا أرى أن ما يستحق أن يصل إلى القارئ العربى هو هذا التراث المتنوع من القيم والأفكار، كالأخلاق، والانسجام والتوازن، واحترام القانون، وتحمل المسئولية، والعمل الجماعى، والقدرة على التعامل مع التغيرات، وهى قيم، رغم نشأتها فى سياق صينى خاص، تحمل أبعاداً إنسانية تتجاوز حدود المكان والثقافة.

■ عند ترجمة كتاب يتصل بالفكر والحضارة الصينية.. كيف توازنين بين أمانة النص الأصيل وضرورة أن يكون مفهوم للقارئ العربى؟

- أرى أن الأمانة فى الترجمة لا تعنى الالتزام الحرفى بالكلمات، وإنما تعنى الحفاظ على المعنى وروح النص. لذلك أحاول دائماً أن أبداً بفهم النص الصينى فى سياقه المجتمعى الكامل، ثم أبحث عن الطريقة التى يمكن أن أنقلها بها إلى العربية بصورة واضحة دون أن يفقد أمانته.

فى الكتب التى تتصل بالفكر والحضارة، تكون المسألة أكثر حساسية، لأن بعض المفاهيم قد تكون مرتبطة بسياق ثقافى أو تاريخى لا يعرفه القارئ العربى بالضرورة. هنا يحتاج المترجم إلى أن يحقق قدرًا من التوازن، فلا يشرح النص بصورة ثققل عليه، ولا يحذف خصوصيته الثقافية فى الوقت نفسه.

■ شاركت فى ترجمة «الازدهار المشترك» كيف تعاملت مع المصطلحات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى تحمل دلالات خاصة فى السياق الصينى؟

- كنت أحرص أولاً على فهم المصطلح فى سياقه الصينى، وعدم التعامل معه باعتباره كلمة منفصلة يمكن ترجمتها ترجمة مباشرة. فبعض المصطلحات قد تكون لها دلالة محددة داخل الخطاب السياسى أو الاقتصادى الصينى، وقد يؤدى نقلها بصورة حرفية إلى معنى غير دقيق أو غير مانوف للقارئ العربى.

لذلك كان البحث والتحقيق جزءاً أساسياً من عملية الترجمة، إلى جانب الرجوع إلى السياق الذى ورد فيه المصطلح ومقارنته بالاستخدامات العربية المتداولة والأخلاقية.

الفكر «الكونفوشيوسى» مثلاً يؤكد أهمية الأخلاق

اختلاف المرجعيات الثقافية من أصعب تحديات الترجمة من الصينية إلى العربية

الصور النمطية لا تكفى لفهم الصين.. والترجمة فرصة لاكتشافها من الداخل

الأسرة واحترام الوالدين والروابط الاجتماعية قواسم مشتركة بين مصر والصين



الحكمة

الصينية

1

خصائص الثقافة الصينية

منذ العصر الحديث، عانت الصين أكثر من مائة عام من الضعف والمهانة؛ لتنهض أجيال متعاقبة من ذوى البصيرة، لا تفتأ تبحث عن طريق الخلاص القومي، وتعيد النظر في أسباب التخلف والتعرض للغزو. فمُنذ أن دعا كل من وى يوان ولين تسه شيوى إلى «فتح العيون على العالم»، حتى أصبح شعار «الأخذ بتقنيات الغرب لمقاومة الغرب»، إجماعاً بين صُنّاع القرار والمثقفين في ذلك العصر؛ ومن فكرة «الجوهر صيني والاستخدام غربي» إلى شعار «هدم معبد كونفوشيوس»، أخذت النخبة الفكرية ومعها عامة الشعب تتبنى موقفًا متزايد الجذرية في نقد الثقافة الصينية التقليدية، إلى أن بلغ هذا الاتجاه ذروته في حركة «الثقافة الجديدة» خلال الرابع من مايو التي رفعت راية «التغريب الشامل».

إن حقيقة «التخلف والتعرض للغزو» حقيقة كُتبت بدم ودموع. فمن البوارج الحديدية والمدافع الثقيلة إلى الفوارق العميقة في أنماط الحضارة. كان للظلمة التي تلقّاها الوعى الصينى أثرٌ شامل فى جميع الجوانب. وفى خضم هذا المدّ والجزر، تكوّن لدينا رأى بسيط ومتسرع مفاده أن «الحضارة الزراعية أدنى من الحضارة الصناعية، وحضارة الأنهار أدنى من حضارة البحار». غير أن الأمر ليس كذلك؛ فليست حضارتنا ولا ثقافتنا أدنى من الغرب، بل ما حدث هو أن الحضارة الصناعية الغربية، خلال أقل من مائتى عام، ابتكرت طاقةً إنتاجية فاقَت مجموع ما أنتجته الحضارة الزراعية الشرقية على مدى آلاف السنين. وبعبارة أخرى، فالمسألة هي مسألة تفوّق فى القوة المنتجة، أما الحضارة والثقافة فليستَ مما يمكن الحكم عليهما ببساطة بمعايير «التقدم» والتخلف.

وإذا جاز فهم الثقافة على ثلاثة مستويات؛ فإن أولها هو المستوى المادى. قبل قديمًا: «الرسالة من الأهل تعادل عشرة آلاف قطعة من الذهب»؛ وذلك لأن وسائل الاتصال كانت متخلّفة آنذاك، أما اليوم فقد صار نقل المعلومة يتم فى لحظة، فيسهل التواصل إلى حدّ لم يُعرف من قبل. ومن هذه الناحية المادية، يمكن القول إن الثقافة الحديثة أرقى من الثقافة القديمة. أما المستوى الثانى فهو ثقافة النظام. فحين اليوم نتحدث عن «الثقة بالنظام»، وقد كانت الأنظم التي حملها بها فى مراحل ماضية، سابقة لأوانها ما جعلها غير ملائمة لتطور القوى المنتجة، ولهذا كانت إنجازات عقود الإصلاح والانفتاح ممكنة. وكذلك كان الأمر فى العصور القديمة أيضًا، فمثلاً، لعبت إصلاحات وانغ أن شى فطيلة قرون، لكنها من منظور الاقتصاد الحديث كانت تحمل أفكارًا كثيرة جديرة بالاهتمام، غير أنها كانت متقدمة جدًا قياسًا بمستوى الإنتاج آنذاك. أما المستوى الثالث فهو جوهر الثقافة؛ أى المستوى الروحى، ويشمل طرائق التفكير، والقيم، والعادات الدينية، والذوق الجمالى، وهو ما يعكس فى جوهره قضية الإيمان أو ما يشبه الإيمان.

يعتقد كثيرون أن الصينيين بلا عقيدة، غير أن الواقع يُظهر أن المفاهيم التي تبلورت منذ عهدى شانج وتشو، مثل «احترام السماء وحماية الشعب»، وتبجيل المعلم واتباع الطريق»، ووحدة الإنسان والطبيعة»، تمثل العقيدة المشتركة للأمة الصينية. وقد طرح الفيلسوف الألماني كارل تيودور ياسبرز نظرية «العصر المحورى»، فقال إن ما بين عامى ٨٠٠ و ٢٠٠ قبل الميلاد، وفى النطاق المحيط بخط العرض الثلاثين شمالاً، شهد المجتمع البشرى قفزةً كبرى تجاوز بها مرحلة الإيمان الدينى البدائى، فحقق اختراقات هائلة فى ميدان الحضارة



ظهرت كلمة

«الصين» فى

الأدبيات لأول

مرة فى «كتاب

الأغاني»

الروحية. ففى ذلك العصر برز سقراط وأفلاطون فى اليونان القديمة، وجوتاما بوذا فى الهند، ولאו تسى وكونفوشيوس فى الصين، وأنبياى بنى إسرائيل، وهؤلاء جميعًا كانوا حكماء عظماء تركوا أثرًا عميقًا فى مختلف الدوائر الحضرية الإنسانية، وهو ما كان تجليًا لـ حضارة عالمية وبشرية سامية تتسم بطابعٍ متجاوز للحدود.

وتُعدّ الصين بوصفها إحدى الحضارات الأربع القديمة صاحبة ميزة متفردة، فهي الحضارة الوحيدة التي استمرت إلى اليوم دون انقطاع. فعلى مدى آلاف السنين، تحوّلت «الصين» من كونها إقطاعيةً خاصة بملك أسرة تشو إلى هوية تميزها عن «البرابرة»، ثم اتسع مدلولها من إقليم فى شمال الصين إلى وطن مشترك لجميع أبناء الأمة الصينية. ويرجع هذا التحول والتوسع فى معنى الصين إلى حيوية الحضارة زاهرة مشرقة فى العصور القديمة، فإنها

وكمّا قال تشوانج تسى: «الطريق موجود فى كل مكان»، وكذلك الحكمة الصينية، فهي شاملة لا يُستثنى منها شيء. فإذا كانت الثقافة الصينية قد قامت على امتزاج «الكونفوشيوسية والبوذية والطاوية، بوصفها تياراتًا وسطيةً، واستوعبت فى الوقت نفسه مذاهب المفكرين الآخرين كالموهيين والقانونيين ومدرسة الين واليانغ، فأنشأت بذلك حضارة زاهرة مشرقة فى العصور القديمة، فإنها قادرة بلا ريب فى العصر الجديد على دفع المسيرة الكبرى نحو النهضة العظيمة للأمة الصينية». وقد قال الأمين العام شى جين بينغ غير مرة:

«الثقة الثقافية هي أن يُبدي شعب، أو دولة، أو حزب، يقينًا كاملاً بقيمة ثقافته، وأن يمارسها ممارسة فعلية، وأن يبقى بثبات بقدرتها على الاستمرار». وإعادة بناء الكرامة القومية والثقة بالنفس، إنما يرتكز فى جوهره على الثقة بالثقافة؛ لذا ينبغي لنا أن نُعرّف مزيدًا من الناس بخصائص الثقافة الصينية على هذا النحو.

2 معنى «الصين»

ما هى «الصين»؟ قد يبدو هذا سؤالًا يسهل الجواب عنه. فهناك من سيقول: «الصين هى جمهورية الصين الشعبية»، وهى إحدى الدول الخمس دائمة العضوية فى مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة»، بل إن الأطفال فى رياض الأطفال يعرفون أن الصين إحدى الحضارات الأربع القديمة فى العالم. غير أن ثمة سؤالًا قل من يستطيع الإجابة عنه بوضوح: لماذا تُسمّى الصين بهذا الاسم؟

عند الحديث عن الحضارات الأربع القديمة، يعرف كثير من الناس أنها: بابل القديمة، ومصر القديمة، والهند القديمة، والصين، ولكن لماذا تُسبق أسماء الحضارات الثلاث الأولى بوصف «القديمة»، بينما تُستثنى الصين من ذلك؟ لأنّ الحضارات الثلاث قد انقطعت ولم يعد لها وجود متصل، فى حين أنّ الحضارة الصينية القديمة هى الحضارة الوحيدة التي استمرت حتى يومنا هذا دون انقطاع.

لقد نشأت حضارة بابل القديمة فى بلاد ما بين النهرين فى غرب آسيا، ونشأت حضارة مصر القديمة فى وادى النيل شمال إفريقيا؛ وكلتاهما تُعتبر من الحضارات المتنوعة التي تطورت بشكل مستقل، وامتلكت أنظمة دينية وثقافية ولغوية خاصة بها. غير أنّ هاتين المنطقتين أصبحتا اليوم دولتين عربيتين؛ فلا العراقى قادر على قراءة الخط المسمارى فى «شريعة حمورابى»، ولا المصرى قادر على قراءة الهيروغليفية على «حجر رشيد». وما بقى من أمجاد تلك الحضارات سوى حقائق معلقة تتناقلها الأساطير، وأهرامات شامخة وسط الصحراء. تبدّلت اللغات والكتابات والديانات، فانقطعت الحضارات وفقدت أواصرها. وحتى اللغة القبطية— وهى الوريث المباشر للغة المصرية القديمة— تخلّت

منذ زمن بعيد عن الكتابة الهيروغليفية، وبدأت، بعد العصر الهيلنستى ٣٣٠ - ٣٠ قبل الميلاد»، فى استخدام الحروف اليونانية لكتابة لغتها. أما الحضارة اليونانية القديمة، فهي فى حقيقتها نتاج التقاء حضارتى بابل القديمة ومصر القديمة فى حوض البحر المتوسط، شأنها فى ذلك شأن الحضارة الرومانية القديمة التي ورثتها، لم تكن بدورها حضارةً مستقلة النشأة. وفيما يخص الحضارة الهندية القديمة، فقد عانت هى الأخرى ويلات الغزو وتبدّلت ملامحها مرارًا، وكذلك الحال بالنسبة إلى حضارة فارس القديمة التي ازدهرت فى يوم من الأيام، وكانت ثمرة التقاء حضارتى بابل القديمة والهند القديمة. ولم تكن بدورها حضارةً مستقلة النشأة؛ ومن ثم، يمكن القول إن معظم الحضارات القديمة المذكورة آنفًا قد انقطعت تقريبًا وفقدت استمراريتها.

أما الصين، فحضارتها الممتدة خمسة آلاف عام ظلت متصلة فى خط واحد، وظلت رموزها الصينية هى الكتابة الوحيدة غير الأبجدية فى العالم التي لا تزال مستخدمة حتى اليوم. صحيح أنّ قراءة النقوش العظيمة لا يتقنها إلا قلة من المتخصصين، غير أنّ قراءة النقوش البرونزية القديمة أو الخط الصغير ليست بالأمر العسير على محبى الخط، فضلًا عن أنّ كتابة النقوش منذ أواخر أسرة هان يمكن لطلاب المدارس الثانوية تمييز معظمها. وهكذا، على الرغم من أنّ تاريخ الصين ليس الأقدم بين الحضارات الأربع، فإن ثقافتها هى الثقافة التي لم تنقطع إلى اليوم.

إن تحوّل «الصين» إلى ما هى عليه اليوم، إنما هو نتاج مسار طويل من التحول التاريخى.

3

«الصين» بوصفها مفهومًا جغرافيًا

تشير كلمة «دولة» فى أصلها إلى مدينة أو بلدة محصنة؛ أى المكان الذي يجتمع فيه الناس للعيش معًا. فمن منظور تحليل بنية الرمز الكتابى، نجد أن الإطار □، يحتوى على 或، «والأخير صورة دلالية لامرئ يحمل رمحًا يحرس بوابة المدينة، وهو الشكل الأصلي لكلمة «دولة»، وكما نقرأ فى رواية «تأليه الآلهة»، فإن «ثمانمئة من الأمراء الإقطاعيين، رافقو الملك وو لمحاربة تشو؛ وكان كل أمير من هؤلاء يعادل «دولة» قائمة بذاتها؛ بل إن الكتب القديمة استخدمت تعبير «عشرة آلاف دولة»، كما فى قول تشينغ عشرة آلاف دولة بالأمن»، «كتاب التغييرات— قسم تشيان— شرح الحكم»، كما كان لفظ 邦، يُطلق على الدولة؛ لذلك وُجد تعبير «عشرة آلاف مملكة»، كما فى قول «إرساء الوئام بين عشرة آلاف مملكة»، «كتاب الوثائق— قانون يائو». أما فى عصر شانغ: فقد سُميت الدويلات «فانغ»؛ أى «مقاطعات الجهات الأربع»، مثل «قوى فانغ»، وتشيانغ فانغ». وعلى الرغم من أن هذا العدد يحمل شيئًا من المبالغة، فإنه يكشف عن كثرة المدن من هذا النوع فى ذلك العصر. غير أن المدينة التي كان يقيم فيها ملك أسرة شانغ أو ابن السماء فى عهد تشو؛ أى العاصمة السياسية للدولة كانت تختلف عن سائر المدن؛ إذ كانت مركز السلطة السياسية فى العالم آنذاك، ولهذا لُقبت بالـصين.

ظهرت كلمة «الصين» فى الأدبيات لأول مرة فى «كتاب الأغاني»، حيث ورد: «لُيُخدَم هذا الوطن المركزى»، «معاناة الشعب» باب الشعر الرفيع». وفى عهد أسرة تشو الغربية كانت «الصين» تشير إلى «المنطقة الملكية»؛ أى المنطقة التي تقع تحت الحكم المباشر للملك.

وعليه، فإن «الصين» فى بدايات عهد تشو كانت تشير على الأرجح إلى منطقة «فنج» و«قاو» فى سهل قوانتشونغ بمقاطعة شانشى اليوم، ثم أخذ

نطاق «الصين» يتوسّع تدريجيًا؛ فألى جانب «فنج» و«هاو»، أطلق الاسم نفسه على عاصمة أسرة شانغ السابقة فى «بين»— وهو ما يُعرّف اليوم بمدينة آنيانغ فى مقاطعة خنان ثم أسست أسرة تشو عاصمة مصاحبة فى «لوى» «لويانغ اليوم»؛ ولأنها كانت فى قلب السهل المركزى، زادت أهميتها باعتبارها مركزًا جغرافيًا للعالم آنذاك خاصة بعد انتقال عاصمة تشو إليها، توسع مفهوم «الصين» من مجرد مركز سياسى إلى «مركز جغرافى».

أما أقدم أثر مكتوب يحمل كلمة «الصين»، ويصف بناء عاصمة لوى، فهو وعاء برونزى يُعرف بإدناء هه. ففى عام ١٩٦٣، عثر فلاح من شنشى صدفَةً على قطعة برونزية جرفتها الأمطار، فأتخذها وعاءً للحبوب، وبعد انتقالها بين الأيدي، بيعت فى نهاية الأمر خردة بثلاثين يوانًا. وفى عام ١٩٦٥، عثر أحد موظفى متحف باوجى عليها فى محطة لجمع الخردوات، فاستشعر أنها قطعة نفيسة، فاشترها مقابل ٣٠ يوانًا بعد إبلاغ أمين المتحف. وبعد الفحص، تأكد علماء الآثار أنها قِدرٌ للخمور صنع فى أوائل عهد أسرة تشو الغربية، تغلب على زخارفه نقوش «التاوتيه»، وبناء على النقش فى قاعدته سُمى «إناء هه»؛ يبلغ ارتفاعه ٨.٨ سم، وقطر فوهته ٦.٢٨ سم، وزنته ٧٨٠.١٤ كغ. أعلا فوهة مستديرة محذبة، وأسفله صندوق ذو أضلاع. صنّع فى السنة الخامسة

من حكم الملك تشنغ من تشو؛ أى قبل أكثر من ثلاثة آلاف عام، ويبلغ مجموع نصوص نقوشه ١٢٢ كلمة، تسجل إتمام الملك تشنغ وصية الملك وو فى بناء العاصمة الجديدة «تشنغتشو». وجاء فى النقش: «لما شرع الملك أول مرة فى إقامة مسكنه فى تشنغتشو، تبارك ببركات الملك وو من السماء... ولما استتب للملك وو أمر القضاء على عاصمة شانغ الكبرى، أعلن فى قاعة المحكمة لئسماة قائلًا: سأجعل مسكنى فى هذا (المركز)، وذلك من أجل حُسن تدبير طوقس تشو تُسمى «تشو شيا» فى إشارة إلى مختلص ممالك هواشيا. ومع انتشار حضارة الطوقس والموسيقى فى عهد أسرة تشو، اتسعت رقعة «الصين». ومع قيام دولتى تشين وهان ووحدة البلاد، أصبح كل ما يقع تحت سلطة الملك يُعدّ «الصين»، وما عدا ذلك يُسمى «أراضى أجنبية» أو «أراضى غير متحضرة». وفى «السجل التاريخى العام» قبل معركة تشيبي، نصح تشو قه ليانج سون تشوان بالتحالف مع ليو باى ضد تساو قائلًا: «إذا كان بإمكانك مواجهة الصين بجمع وو ويوى، فمن الأفضل أن تقطع العلاقات معها مبكرًا». والمقصود بدوو ويوى، هنا منطقة جيانغدونج الخاضعة لسيادة سون تشوان، بينما تشير «الصين» إلى منطقة السهول الوسطى الخاضعة لسيادة تساو تساو. يتضح من ذلك أنه فى أواخر عهد هان والممالك الثلاث، كان مفهوم «الصين» فى أذهان الكثيرين لا يزل مقتصرًا على الشمال فقط.

عانت

الصين

لأكثر

من مائة

عام من

الضعف

والمهانة



وانج شو تشانج

حضارة

الصين

الممتدة

خمسة

آلاف عام

ظلت

متصلة فى

خط واحد

وظلت

رموزها

الصينية

هى الكتابة

الوحيدة

غير

الأبجدية

فى العالم

التي لا تزال

مستخدمة

حتى اليوم





لا يمكن لدولة أو أمة أن تكون بلا روح. إن العمل في مجالات الثقافة والأدب والفن والفلسفة والعلوم الاجتماعية هو عمل يضطلع بمهمة ترسيخ جذور الأمة وبناء روحها.

إن الشعب هو مصدر الإبداع، وعلى العاملين في الثقافة والأدب والفن أن يتعمقوا في الممارسة، وأن يتأملوا حياة الشعب بعناية، وأن يعبروا عن تطلعاته.

أما العاملون في الفلسفة والعلوم الاجتماعية، فعليهم إجراء المزيد من الدراسات والبحوث الميدانية، والتعرف إلى أوضاع حياة الناس، وفهم نبض أفكار الجماهير، والانطلاق من احتياجاتهم للإجابة عن تساؤلاتهم وشرح القضايا التي تهمهم.

يجب أن نلتزم بتقديم الأعمال الرفيعة إلى الشعب. فكل إبداع أدبي وفني وكل بحث أكاديمي ذي قيمة ومعنى ينبغى أن يعكس الواقع، وأن يساهم في حل المشكلات الواقعية والإجابة عن القضايا الواقعية.

إن العاملين في الثقافة والأدب والفن والفلسفة والعلوم الاجتماعية يضطلعون بمسؤوليات مهمة تتمثل في إنارة العقول، وتهذيب المشاعر، وتدفئة القلوب، وعليهم أن يكونوا قدوة للمجتمع من خلال الطموحات الرفيعة، والأخلاق الحميدة، والمشاعر النبيلة.

الرئيس الصيني شي جين بينج